

دور الترميز في بناء الثقافة: فلسفة الأشكال الرمزية عند أرنست كاسيرر.

*The Role of Symbolization in the Construction of Culture:
Ernst Cassirer's Philosophy of Symbolic Forms.*

ناصر الدين بوجاوي.

- جامعة مولود معمري؛ تيزي وزو (الجزائر).

- البريد الإلكتروني: nacer-eddine.boudjaoui@ummto.dz

تاريخ الإرسال: 2025/10/04؛ تاريخ القبول: 2025/11/14؛ تاريخ النشر: 2025/12/15.

الملخص:

يَعْرِضُ هَذَا الْمَقَالُ الْمُقَارَبَةَ الْأَنْثُرُوبُولُوجِيَّةَ الْفَلَسَفِيَّةَ لِلتَّحْقَافَةِ عِنْدَ الْفِيلَسُوفِ أَرْنِسْتِ كَاسِيرِرِ الَّتِي تَكْشِفُ عَنْ دَوْرِ الْفَاعِلِيَّةِ التَّرْمِيزِيَّةِ فِي إِشْأَاءِ الْعَالَمِ الثَّقَافِيِّ فِي مُخْتَلَفِ تَجَلِيَّاتِهِ، مَا يَجْعَلُ الْوُجُودَ الْإِنْسَانِيَّ وَجُودًا ذَا مَعْنَى. لِذَلِكَ كَانَتْ غَايَتُنَا مِنْ هَذَا الْمَقَالِ اسْتِظْهَارُ الْقُوَّةِ الْمَعْنَوِيَّةِ لِلرُّمُوزِ، كَمَا تَتَجَلَّى فِي الْأَسْطُورَةِ وَالْدِّينِ وَالْعِلْمِ، بِاعْتِبَارِهَا قُوَّةٌ تُبَيِّحُ الْوَعْيَ الدَّائِيَّ وَالْغَيْرِيَّ، بِقَدْرِ مَا كَانَ مُرَافِقًا أَنْ نُبَرِّزَ وَحْدَةَ الْقُدْرَةِ التَّرْمِيزِيَّةِ بِصِفَتِهَا وَحْدَةً وَظِلْفِيَّةً لَا مِيتَافِيزِيْقِيَّةً. وَلَقَدْ أَوْقَفْنَا إِبْرَازَنَا لِمَبَانِي هَذِهِ الْمُقَارَبَةِ عَلَى الْإِجَابَةِ عَنْ ثَلَاثَةِ إِشْكَالَاتٍ: مَا شُرُوطُ إِمْكَانِ الثَّقَافَةِ؟ أَيْمُكُنْ أَنْ يُدْرِكَ الْإِنْسَانُ الْعَالَمَ دُونَ وَسَاطَةِ الرُّمُوزِ؟ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى التَّوْفِيقِ بَيْنَ كَوْنِ الثَّقَافَةِ وَاحِدَةً وَمُتَعَدِّدَةً؟ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، تَوَسَّلْنَا الْمَنْهَجَ التَّأْرِيخِيَّ الْمُقَارَنَ وَالْمَنْهَجَ التَّحْلِيلِيَّ اللَّذَيْنِ مَكْنَانَانَا

مِنْ تَتَبِعَ مَقُولَاتِ هَذَا الْفِيلَسُوفِ، مُقَارِنِينَ إِيَّاهَا مَعَ مَقُولَاتِ فِلَاسِفَةِ
آخَرِينَ وَتَحْلِيلِهَا، وَخَلَصْنَا إِلَى أَنَّ الرَّمْزَ قُوَّةٌ رُوحِيَّةٌ لِلْعَنِي يَنْفَرِدُ بِهَا
الْإِنْسَانُ، بِأَفْضَالِهَا يَخْلُقُ مَحْتَوِيَاتِ الثَّقَافَةِ، خَالِعًا عَلَى وُجُودِهِ مَعَانٍ
رُوحِيَّةً بِهَا يَكْفُ أَنْ يَكُونَ مَحْضَ انْعِكَاسٍ لِعِلَاقَتِهِ بِالعَالَمِ المَادِّيِّ.

الكلمات المفتاحية: الفِلْسَفَةُ؛ الثَّقَافَةُ؛ أَرْنِسْتِ كَاسِيرِرْ؛ الشَّكْلُ
الرَّمْزِيُّ؛ عُلُومُ الرُّوحِ.

Abstract:

This article presents philosopher Ernst Cassirer's anthropological and philosophical approach to culture, which reveals the role of symbolic activity in the creation of the cultural world in its manifestations. Our objective in this article was to highlight the power of symbols as well as their non-metaphysical functional unity. We based our approach on the answers to three questions: What are the conditions for the possibility of culture? Can human beings comprehend the world without the intermediary of symbols? How can the unique and multiple nature of culture be reconciled? To do this, we used a comparative historical approach and an analytical approach, which allowed us to follow the philosopher's arguments, compare them with those of other philosophers, and analyse them. We have come to the conclusion that symbols are a spiritual force unique to human beings, enabling them to create cultural content by attributing spiritual meanings to it.

Keywords: Philosophy; Culture; Ernst Cassirer; Symbolic Form; Spiritual Sciences.

مقدمة:

لَقَدْ نَالَتْ كِتَابَاتُ أَرْنِسْتِ كَاسِيرِرِ *Ernst Cassirer* اسْتِحْسَانًا
عَظِيمًا فِي الْأَوْسَاطِ الْفِلْسَافِيَّةِ وَالْأَنْثُرُوبُولُوجِيَّةِ، إِذْ جَاءَتْ غَنِيَّةً بِالْمَفَاهِيمِ
النَّظَرِيَّةِ الَّتِي أَتَا حَتَّ مُعَالَجَةِ أَشْكَالِ الثَّقَافَةِ الْمُخْتَلِفَةِ مِنْ أَسَاطِيرِ وَأَدْيَانِ

وفلسفات وعُلوم وفق مقارنة تأليفية تُفْرِجُ عن الوَحْدَةِ الديناميكية التي تُؤَسِّسُ التَّنَوُّعَ الثقافيَّ، مَا سَمَحَ لَهُ أَنْ يُقَدِّمَ إِحْدَى أَهَمِّ المَحَاوِلَاتِ لِتَنْظِيرِ عُلُومِ الثَّقَافَةِ، تَتَعَاَضَدُ فِيهَا التَّامَلَاتُ الفَلَسَفِيَّةُ بِالْأَدَلَةِ الأَنْثُرُوبُولُوجِيَّةِ، وَالْحُجَجُ اللَّسَانِيَّةُ بِالشَّوَاهِدِ التَّارِيخِيَّةِ. فِي هَذِي الأَنْثُرُوبُولُوجِيَا الفَلَسَفِيَّةِ يَعْتَكِفُ كَاسِيرِرُ عَلَى دِرَاسَةِ أَنْمَاطِ إِسْنَادِ المَعْنَى إِلَى الظَّوَاهِرِ مِنْ حَيْثِيَّةٍ كَشَفَهَا عَنْ الوَحْدَةِ التَّرَكِيبِيَّةِ لِأَفْعَالِ العُنْيِ التي تُعَدُّ مَقُولَاتٍ إِشْثَائِيَّةً تُصَنِّعُ المَعَانِي بِالاسْتِنَادِ إِلَى أَنْحَاءٍ قَبْلِيَّةٍ لَهَا الكَلِمَةُ العُلْيَا عَلَى الصُّورِ الَّتِي تَظْهَرُ بِهَا مَوْضُوعَاتُ الْعَالَمِ.

بِنَاءً عَلَى ذَلِكَ، يَبْسِطُ كَاسِيرِرُ نَظْرِيَّةً عَامَّةً عَنِ الثَّقَافَةِ مُتَوَقِّفَةً عَلَى القُدْرَةِ الإِبْدَاعِيَّةِ لِلإِنْسَانِ عَلَى إِنتَاجِ الرُّمُوزِ وَالْمَعَانِي مُتَفَاوِتَةِ التَّجْرِيدِ الَّتِي لَا تَكُونُ الثَّقَافَةُ مُمَكِّنَةً إِلَّا بِهَا، وَلَا تَتَأَلَّفُ إِلَّا مِنْهَا، مُبَيِّنًا أَنَّ عَالَمَ الثَّقَافَةِ أَيْضًا، بِاعْتِبَارِهِ بَنِيَّةَ الوَسَاطَاتِ الرَّمْزِيَّةِ، هُوَ الوَسِيلَةُ الوَسِيطَةُ الَّتِي بِهَا يَفْهَمُ الإِنْسَانُ مَوْضُوعَاتِهِ، أَكَانَتْ هَذِهِ أَشْيَاءٌ فِيزِيَائِيَّةً أَمْ أَغْيَارًا بَشَرِيَّةً أَمْ مَوْضُوعَاتٍ مُجَرَّدَةً، لِذَلِكَ لَا يَمْلِكُ بُدًّا مِنْ تَمَلُّكِ أَشْكَالِ الثَّقَافَةِ الَّتِي تَسْمَحُ لَهُ بِتَرْقِيَةِ نَفْسِهِ وَالتَّرَوُّدِ بِأَنْوَارٍ يَسْتَهْدِي بِهَا فِي مَسَارِهِ الْوُجُودِيِّ. لَكِنْ هَذِهِ الْأَشْكَالُ لَيْسَتْ جَوَاهِرَ ثَابِتَةً وَلَا مُعْطِيَاتٍ قَارَةً، وَإِنَّمَا هِيَ أَشْطِطَةٌ وَظِلْفِيَّةٌ صَائِرَةٌ وَمُتَجَدِّدَةٌ تَتَأَلَّفُ بِالتَّدْرُجِ الجَدَلِيِّ وَتَتَرَسَّخُ فِي كُلِّ طَوَرٍ فِي صُورَةِ اللُّغَةِ وَالْأَسْطُورَةِ وَالْفَنِّ وَالْعِلْمِ. هَذِهِ الْفَاعِلِيَّةُ تُزِيحُ الْغِطَاءَ عَنِ القُدْرَةِ الإِشْثَائِيَّةِ لِلإِنْسَانِ الَّتِي بِمُوجِبِهَا يَبْلُغُ مَقَامَاتٍ رَفِيعَةً مِنَ التَّجْرِيدِ وَالْمَغْزَى وَيَعِي تَمِيزَهُ وَتَمَايزَهُ عَنِ الشَّيْئَاتِ المَائِلَةِ أَمَامَهُ، بِقَدْرِ مَا تَظْهَرُ أَنَّ الدَّاتَ لَا تَتَشَكَّلُ

في فراغٍ ولّا مِنْ عَدَمٍ، وإلّا تُبَاشِرُ ذلكَ مِنْ دَاخِلِ آفاقِ الثّقافةِ والتّراثِ التّاريخيّينِ التي تَفْتَحُها على الأشياءِ وتُوجّهُ فَهُومَها لِذاتِها.

لَمْ تَكُنْ حَصَافَةً كاسيرر لِيَسْمَحَ لَهُ بِالْوُقُوعِ فِي مُنْزَلِ الجَبَرِيّةِ الاجتماعيّةِ، لِذَلِكَ لَمْ يَجْعَلِ الْإِنْسَانَ مَحْضَ مَنْتُوجِ لِنَسَقِ الثّقافةِ الرّمزيّةِ، مَا دَامَ مُمْتَلِكًا قُدْرَةً على تَمَلُّكِ إِبْداعيِّ الرُّمُوزِ الثّقافيّةِ وعلى تَشْكِيلِها وَتَحْوِيلِها. وَلَيْسَ مُجَانِبًا لِلسَّدَادِ بِمُوجِبِ ذَلِكَ الإِصْرَارُ على العَلاقةِ الجدليّةِ بينِ نِشاطِ الفاعِلِ الرّامِزِ وَنَسَقِ الثّقافةِ الرّمزيّةِ؛ إذْ في تِلْكَمُ الجدليّةِ تُمارِسُ الرُّمُوزُ الثّقافيّةُ لِلْمُجْتَمَعِ مِنْ أَساطِيرَ وَعَقَائِدَ وَمَنْظُومَةِ المَرْغُوبَاتِ وَالْمَمْنُوعَةِ تَأثيراتِها على الأفرادِ، مُحَوِّلَةً إِيّاهُمْ وَصَايَعَةً ذَوَاتَهُمْ، بِقَدَرٍ مَا يُمارِسُونَ أَيْضًا تَغْيِيرَاتٍ على نَسَقِهِمُ الثّقافيّ وَمُحتَوياتِهِ الرّمزيّةِ، لَأَ سَيِّما أَنَّ فِعالِيّاتِهِمُ التّرميزيّةِ لا تَتَأَسَّسُ على الواقعِ العينيِّ للأشياءِ، بل على صُورةِ الحَدَسِ، بِمَا هُوَ قُدْرَةُ قَبْلِيّةٌ على الاسْتِقبالِ والتّنْظِيمِ تَبَعًا لِحدودِ مُعيّنة.

لا تَقْتَصِرُ أَهميّةُ هَذَا البَحْثِ في عَرَضِ أَحَدِ النّظَريّاتِ الفِلسَفيّةِ الكُبرى في تَفْسيرِ بَنيةِ الثّقافةِ وإمكانيّاتِها في صِلَتِها بِالْإِنْسَانِ بَدِيعِ المَعاني والقُصُودِ، وإلّا في مُحاولَتِهِ بَيانَ قُوّةِ الرُّمُوزِ الثّقافيّةِ في صِناعةِ الدّاتِ والمُجْتَمَعِ وتَوَجُّهِهِما في عَالَمٍ تَتَسَارَعُ فِيهِ التّحَدّياتُ الثّقافيّةُ، مَا يُوجِبُ عَلَيْنَا إِعادةَ النّظَرِ في أُنْحَاءٍ فَهَمْنَا لِلرُّمُوزِ التي تُشَكِّلُ وَعَيْنًا وَهُويّتًا الفَرديّةِ والجمعيّةِ.

إنّا مِنْ أَهدافِنَا مِنْ وَراءِ هَذَا البَحْثِ اسْتِكشافُ دورِ الرُّمُوزِ في إِنْتاجِ المَعاني الثّقافيّةِ وَوُجُوهِ تَكْوينِ الْإِنْسَانِ لِلْعَالَمِ بِوَساطَةِ الرّمُوزِ، إذْ مِنْ ذُوْنِها يَفْقِدُ القُوّةُ التي تُمَيِّزُهُ مِنْ غَيرِهِ مِنْ أَصْنَافِ المَوْجُوداتِ،

وَجَرَمَانِهِ مِنْهَا يَفْقَدُ الْمُجْتَمَعُ أَيْضًا قُوَّتَهُ الرَّمْزِيَّةَ الَّتِي تُزَوِّدُهُ بِطَرَائِقِ التَّعَامُلِ مَعَ حَوَالِيهِ. كَمَا أَنَّهُ مِنْ أَغْرَاضِنَا تَحْلِيلُ الْعِلَاقَةِ الْجَدَلِيَّةِ بَيْنَ الْفَرْدِ وَسَقِ الثَّقَافَةِ الرَّمْزِيَّةِ، بِقَدْرِ مَا نَقْصِدُ أَيْضًا، فِي سِيَاقِ عَالَمِ نَعْشَاهُ الْمَنْظُورَاتِ الْمَادِيَّةِ، أَكَانَتْ مَارَكْسِيَّةً أَمْ وَضْعِيَّةً أَمْ غَيْرَ ذَلِكَ، إِلَى لَفْظِ الْإِنْتِبَاهِ إِلَى تَأْثِيرِ الرُّمُوزِ الْمَعْنَوِيَّةِ فِي تَشْكِيلِ الْوُجُودِ فِي مُخْتَلَفِ مُسْتَوِيَاتِهِ.

تُحَرِّكُ الْبَحْثُ وَتُوجِّهُهُ ثَلَاثَةُ إِشْكَالَاتٍ أَسَاسِيَّةٍ نَصُوغُهَا عَلَى النُّحُوِّ الْآتِي: مَا شَرْوُطُ إِمْكَانِ الثَّقَافَةِ فِي شُؤْنِهَا وَتَطَوُّرِهَا عَلَى السَّوَاءِ؟ أَفِي وَسْطِ الْإِنْسَانِ أَنْ يُدْرِكَ الْعَالَمَ مِنْ دُونِ الرُّمُوزِ؟ أَيْ لِلثَّقَافَةِ أَنْ تَكُونَ وَاحِدَةً وَمُتَعَدِّدَةً فِي فِلَسَفَةِ الْأَشْكَالِ الرَّمْزِيَّةِ؟

فَرُوضُ هَذَا الْبَحْثِ ثَلَاثَةٌ: أَوَّلُهَا: أَنَّ فِي الْإِنْسَانِ قُدْرَةَ قَبْلِيَّةَ نَوْعِيَّةٍ يَنْفَرِدُ بِهَا عَنْ سَائِرِ الْمَوْجُودَاتِ ثُمَّ كُنْهُ مِنْ تَوَلِيدِ عَالَمٍ مِنَ الْمَعَانِي تُسَمِّيهِ "الثَّقَافَةُ"، مُحَوِّلًا الْمُعْطِيَّاتِ الْحَسِّيَّةَ الْمُبَاشِرَةَ إِلَى دَلَالَاتٍ ثَقَافِيَّةٍ وَفِي رَحَابِهَا يُدْرِكُ وَيَفْهَمُ وَلَوْ بِإِعَادَةِ تَشْكِيلِ النَّمَازِجِ الرَّمْزِيَّةِ الَّتِي تُسَمِّيَهَا ثُرَاتًا. وَثَانِيُهَا: أَنَّ إِدْرَاكَ الْعَالَمِ مَنْوُطٌ بِالرُّمُوزِ الَّتِي بِهَا يُصَيِّرُ الظَّوَاهِرَ الْحَسِّيَّةَ مَعَانٍ مُجَرَّدَةً وَبِهَا يَتَفَاعَلُ مَعَ الْعَالَمِ. وَثَالِثُهَا أَنَّ الْأَشْكَالَ الرَّمْزِيَّةَ كَالْفَنِّ وَالِدَيْنِ وَالْعِلْمِ مَوْكُولَةٌ، وَإِنْ تَعَدَّدَتْ وَتَبَايَعَتْ، إِلَى فَاعِلِيَّةٍ تَرْمِيزٍ وَاحِدَةٍ (فَاعِلِيَّةِ الرُّوحِ الْإِنْسَانِيَّةِ)؛ إِذْ كُلُّ الرُّمُوزِ تَتَّبِعُ مِنَ الْقُدْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ عَلَى الْإِسْتِعَاضَةِ عَنِ الْأَشْيَاءِ بِرُمُوزٍ مُجَرَّدَةٍ.

اسْتَنْدَدْنَا فِي هَذَا الْبَحْثِ إِلَى الْمُنْهَجِ التَّارِيخِيِّ الْمُقَارِنِ؛ فَجَعَلْنَاهُ سَبِيلًا إِلَى رَدِّ الْإِشْكَالَاتِ إِلَى سِيَاقِهَا التَّارِيخِيِّ، وَرَدَفْنَاهُ بِمُقَارَنَةِ مَنْظُورِ كَاسِيرِرِ الْفِلَسَفِيِّ فِي الثَّقَافَةِ مَعَ مَنْظُورَاتِ غَيْرِهِ مِنَ الْفِلَاسَفَةِ، مِثْلَ

ديلتاي وريكرت وفيندلباند، وَعَزَزْنَاهُ بِالْمَنْهَجِ التَّحْلِيلِيِّ الَّذِي يَسَّرَ لَنَا
تَحْلِيلَ مَفَاهِيمِ كَاسِيرِرِ عَنِ الثَّقَافَةِ وَاسْتِجْلَاءِ وُجُوهِهَا وَمُخْتَلَفِ
أَبْعَادِهَا.

يُمْكِنُنَا الْاِكْتِفَاءُ فِي هَذَا الْمَقَامِ بِذِكْرِ دَرَاثَتَيْنِ مِنَ الْعَدِيدِ مِنَ
الدَّرَاسَاتِ السَّابِقَةِ الَّتِي رَاجَعْنَاهَا، وَوَقَفْنَا عِنْدَ مَزَايَاهَا وَعُيُوبِهَا، وَبَدَّلْنَا
الْجُهْدَ فِي تَجَاوُزِ مَا تُعَانِيهِ مِنْ نَقْصٍ، وَهُمَا كَالتَّالِي:
أولاً: دراسةُ سِيَّاسَتِيَّانِ لَوْفَتِ الْمَعْنُونَةُ ب: فِلَسَفَةُ كَاسِيرِرِ
لِلْأَشْكَالِ الرَّمْزِيَّةِ: بَيْنَ الْعَقْلِ وَالنَّسْبِيَّةِ؛ تَقْيِيمٌ تَقْدِيٌّ.

*Sebastian Luft, Cassirer's Philosophy of Symbolic Forms:
Between Reason and Relativism; a Critical Appraisal.*

تُقَدِّمُ هَذِهِ الدَّرَاسَةُ تَحْلِيلًا تَقْدِيًّا لِفِلَسَفَةِ كَاسِيرِرِ لِلْأَشْكَالِ
الرَّمْزِيَّةِ مُشَدَّدَةً عَلَى التَّوَازُنِ بَيْنَ الْعَقْلَانِيَّةِ وَالنَّسْبِيَّةِ الثَّقَافِيَّةِ، بَيِّنُ أَنَّ مِنْ
عُيُوبِهَا عَدَمُ التَّطَرُّقِ بِصُورَةٍ وَاضِحَةٍ إِلَى تَدَاخُلِ الْأَشْكَالِ الرَّمْزِيَّةِ
وَتَأْثِيرِهَا الْمُتَبَادِلِ.

ثَانِيًا: دراسةُ بَرَزِيمْسَلَاَفِ بَارَسَزُوتُوفِيْتِشِ الَّتِي تَحْمِلُ الْعُنْوَانَ
الآتِي: نَقْدُ الْعُلُومِ الثَّقَافِيَّةِ: إَرْنِسْتِ كَاسِيرِرِ وَالْوَاحِدِيَّةُ الرَّمْزِيَّةُ .

*Przemysław Parszutowicz, Critique of cultural sciences:
Ernst Cassirer and symbolic monism.*

تَتَنَاوَلُ الدَّرَاسَةُ التَّوْحِيدَ الرَّمْزِيَّ الَّذِي يَسْمَحُ بِتَأْسِيسِ الْعُلُومِ
الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْعُلُومِ الطَّبِيعِيَّةِ عَلَى وَحْدَةِ الْقُدْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ عَلَى التَّرْمِيزِ،
لَكِنَّهَا لَا تُعَالِجُ تَنَوُّعَ الْأَشْكَالِ الرَّمْزِيَّةِ وَعِلَاقَةَ وَحْدَتِهَا بِتَعَدُّدِهَا.

أولاً: الثَّقَافَةُ مِنْ مَنْظُورِ أُونَثُرُوبُولُوجِيَا كَاسِيرِرِ الْفِلَسَفِيَّةِ:

1 -فِلَسَفَةُ الثَّقَافَةِ فِي سِيَاقِهَا التَّارِيخِيِّ:

لَمْ تَكُنْ فَلسَفَةُ الثَّقَافَةِ الَّتِي صَاغَهَا كَاسِيرِرْ فِي أَلْمَانِيَا بَدْعًا مِنْ
الاشْتِغَالِ المَعْرِفِيِّ بِالثَّقَافَةِ، إِذْ كَانَ المِنَاحُ الثَّقَافِيُّ آنَ ذَاكَ مُنْهَمَكًا فِي
البَحْثِ عَنْ مَنَطِقِ الثَّقَافَةِ والكَشْفِ عَنْ خُصُوصِيَّةِ مَا يُصْطَلَحُ عَلَيْهِ
لَدَى بَعْضِهِمْ "عُلُومُ الرُّوحِ"، وَمِنْ دَلَائِلِ شِدَّةِ عِنَايَتِهِمْ بِمَسْأَلَةِ الثَّقَافَةِ
تَسْمِيَتُهُمْ لِلْعُنْوَانِ الفرَعِيِّ لِمَجَلَّةِ اللُّوغُوسِ Logos الشهيرة الَّتِي تَأَسَّسَتْ
فِي عَامِ 1910 بِالمَجَلَّةِ الدَّوْلِيَّةِ مِنْ أَجْلِ فَلسَفَةِ الثَّقَافَةِ (أنظر التعليق رقم: 1)
وَهِيَ مَجَلَّةٌ أَسْهَمَ فِيهَا فَلَاسِفَةٌ وَعُلَمَاءُ كِبَارٌ نَذَكَرُ مِنْهُمْ سِيْمِلُ Simmel
ورِيكَرْتِ Rickert وِنَاتُورْبِ Natorp وَفِينْدِلْبَنْدِ Windelband وَتْرُويلْتش
Troeltsch، وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا تَأَمُّلُ عُنْوَانِ المَجَلَّةِ حَتَّى نُدْرِكَ أَنَّ الأَمْرَ يَتَعَلَّقُ
بِ«فَلسَفَةِ الثَّقَافَةِ»، وَلَيْسَ بِالثَّقَافَةِ، وَالْمَقْصُودُ مِنَ الفَلسَفَةِ هُنَا نِظَامُ
المَعْقُولِيَّةِ وَأَسْبَابُهَا البَاطِنِيَّةِ وَمَقَاصِدُهَا العَالِيَةِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَنَّ هَذِهِ
الحَرَكَةُ تَتَقَاطَعُ مَعَ المَشْرُوعِ الدِيلِيتَاوِيِّ الَّذِي غَالِبًا مَا يَقُومُ عَلَى تَأْسِيسِ
«عُلُومِ الرُّوحِ» وَبَيَانِ سِمَاتِهَا وَمَا تَتَطَلَّبُهُ مِنَ الدَّارِسِينَ مِنْ مَنَهِجٍ خَاصٍّ
يُرَاعِي طَبِيعَتَهَا وَتَرْكِيبَتَهَا.

لَقَدْ اجْتَهَدَ فِيلَهْلَمْ دِيلِيتَايَ فِي البَحْثِ عَنْ أَسَاسِ مَتْنِ عُلُومِ الرُّوحِ
أَوْ لَعُلُومِ الثَّقَافَةِ فِي عِلْمِ النَفْسِ وَالتَّأْوِيلِيَّةِ بِهِمَا تَكُونُ المُنْتَجَاتُ الثَّقَافِيَّةُ
تَعْبِيرَاتٍ عَنْ مَعِيشٍ حَيٍّ لِلْأَمَمِ وَتَتَطَلَّبُ لِلإِسْفَارِ عَنْ مُحتَوِيَّاتِهَا فَهْمًا
خَاصًّا، لَا تَقْسِيرًا مِيكَانِيكِيًّا، كَمَا هُوَ شَأْنُ العُلُومِ الطَّبِيعِيَّةِ. يُورِدُ
كَاسِيرِرْ أَنَّ دِيلِيتَايَ عَمِدَ فِي كِتَابِهِ المَعْنُونِ "مُقَدِّمَةٌ إِلَى عُلُومِ الرُّوحِ" إِلَى
بَسْطِ "بِرنامِجٍ لِتَأْسِيسِ نَقْدِيٍّ لَعُلُومِ الرُّوحِ، لَيْسَ بِنَقْدٍ مِيثَافِيزِيكِيٍّ"
(Cassirer, 1996, I, p. 149)، غَيْرَ أَنَّهُ فَشَلَ فِي تَحْقِيقِ أَغْرَاضِهِ
الفَلسَفِيَّةِ، لِأَنَّهُ ظَلَّ سَاجِدًا لِلنَّرْعَتَيْنِ الوَضْعِيَّةِ وَالسِّيَكُولُوجِيَّةِ.

وَبَعْدَمَا وُجِهَتْ إِلَى مَشْرُوعِ دِيلَتَايَ الْكَثِيرِ مِنَ الْأَنْتِقَادَاتِ، حَاوَلَ مُعَالَجَةُ الْكَثِيرِ مِنْ مَوَاطِنِ الضَّعْفِ فِي مَشْرُوعِهِ ذَلِكَ، وَهُوَ مَا بَدَأَ فِي التَّصْحِيحَاتِ الَّتِي أَجْرَاهَا لَاحِقًا عَلَى بَعْضِ مَنَظُورَاتِهِ فِي الْكِتَابِ الْمَعْنُونِ: «بِنَاءُ الْعَالَمِ التَّارِيخِيِّ فِي الْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ» *Construction du monde historique dans les sciences humaines* «حيثُ أَمْسَى مُصْطَلَحُ *monde historique* فِي مَوَارِدَ كَثِيرَةٍ «بِنِيَّةٍ» الْعُلُومِ أَكْثَرَ مِنْ إِفَادَةِ مَعْنَى «تَشْيِيدِ» الْعُلُومِ؛ وَبِهَذِهِ الْبِنِيَّةِ جَعَلَ التَّمْيِيزَ بَيْنَ عُلُومِ الطَّبِيعَةِ وَعُلُومِ الرُّوحِ أَمْرًا بَنِيويًا. عَلَى الضَّدِّ مِنْ تَقَرِيرَاتِ دِلَتَايَ، كَفَّ فَيَلْهَمُ فِينْدَلْبَانْدَ، مِنْذُ عَامِ 1894، عَنْ مُعَارَضَةِ عُلُومِ الطَّبِيعَةِ بِعُلُومِ الرُّوحِ، مُسْتَعِيزًا عَنْ هَذِهِ الثَّنَائِيَّةِ، الَّتِي هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ اسْتِمْرَارٌ لِلثَّنَائِيَّةِ الدِيكَارْتِيَّةِ الَّتِي تُمَيِّزُ الْجَوْهَرَ الرُّوحَانِيَّ مِنَ الْجَوْهَرِ الْمَادِي، بِثَّنَائِيَّةِ الْعُلُومِ التَّقْنِيَّةِ *sciences nomothétiques* الَّتِي تَسْعَى إِلَى الْأَحْكَامِ الْقَطْعِيَّةِ وَالْعَامَّةِ *jugements apodictiques et généraux* وَالْعُلُومِ التَّفْرِيدِيَّةِ *sciences idiographiques* الَّتِي تُشْئِي قَضَايَا فَرْدِيَّةً وَاحْتِمَالِيَّةً وَظَنِيَّةً *Assertoriques*. فَإِذَا كَانَتْ الْأَوَّلَى عِلْمَ الْقَوَانِينِ، فَإِنَّ الثَّانِيَةَ عِلْمُ الْأَحْدَاثِ *science des événements*.

إِنَّ هَذَا التَّمْيِيزَ الْجَدِيدَ الَّذِي ابْتَدَعَهُ فَيَلْهَمُ فِينْدَلْبَانْدَ *Wilhelm Windelband* وَجَدَّ لَدَى هَايْنَرِيش رِيكَرْتِ *Heinrich Rickert* عَرْضًا دَقِيقًا وَشَرْحًا بَلِيغًا يَذْهَبُ إِلَى عَرْضِ النَّتَائِجِ الْمُرْتَبَةِ عَلَيْهِ، إِذْ أَبَانَ فِي مُصَنَّفِهِ "عِلْمُ الثَّقَافَةِ وَعِلْمُ الطَّبِيعَةِ" عَنِ الْكَيْفِيَّاتِ الَّتِي تَتَشَكَّلُ بِهَا مَفَاهِيمُ هَذِهِ الْعُلُومِ، مُتَحَدِّثًا عَنِ الْمَفَاهِيمِ الْمُعَمِّمَةِ النَّاشِطَةِ فِي عُلُومِ الطَّبِيعَةِ وَالْمَفَاهِيمِ التَّفْرِيدِيَّةِ فِي عُلُومِ الثَّقَافَةِ (مُخَوِّخ، 2015، ص 52-54).

مَا يَجْعَلُ هَذَا التَّبَايُنَ بَيْنَ الْمَسَارَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ الَّتِي تَسْلُكُهَا الْعُلُومُ
أَمْرًا مُمَكِّنًا هُوَ إِمْكَانُ اتِّخَاذِ الرُّوحِ مَوْقِفَيْنِ مَعْرِفِيَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ: (أ) إِمَّا
أَنْ يَسْعَى إِلَى مَا تَشْتَرِكُ فِيهِ عِدَّةُ أَشْيَاءَ وَهُوَ مَنَهِجُ التَّعْمِيمِ الَّذِي تَسْتَنْدُ
إِلَيْهِ الْعُلُومُ الطَّبِيعِيَّةُ وَيَفْضُلُهُ تُصَنِّفُ، فِي إِطَارِ الْمَفَاهِيمِ الْكَوْنِيَّةِ،
الْعَدِيدَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْخَاصَّةِ وَذَلِكَ مَا يُحَقِّقُ لَهَا إِثْشَاءَ عَالَمٍ كَوْنِيٍّ. (ب)
أَنْ يَبْحَثَ عَمَّا يُمَيِّزُ الشَّيْءَ فِي تَفَرُّدِهِ وَخُصُوصِيَّتِهِ وَهُوَ مَنَهِجُ التَّفْرِيدِ
الَّذِي تَرْتَكِزُ إِلَيْهِ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ الْعُلُومُ التَّارِيخِيَّةُ «الْمُهْتَمَةُ بِمَا يَحْدُثُ
مَرَّةً وَاحِدَةً لَّا غَيْرَ»؛ وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ غَايَتَهَا اسْتِهْدَافُ تَمَثِيلِ أَضْرِبِ
الْوُجُودِ الْخَاصَّةِ وَالْفَرِيدَةِ وَالسِّمَاتِ الْفَرْدِيَّةِ بِدِقَّةٍ دُونَ إِمْكَانِ بُلُوغِ سَنِّ
قَوَانِينِ كَلِيَّةٍ. لَّا يَتَّبَعِينَ أَنْ تَفْهَمَ مِنْ هَذِهِ الْمُمَايِزَةِ بَيْنَ نَوْعَيْنِ مِنَ الْعُلُومِ
النَّابِعَةِ مِنْ مَوْقِفَيْنِ لِلرُّوحِ تَعَارُضًا حَقِيقِيًّا دَاخَلَ الرُّوحَ الْإِنْسَانِيَّ
وَمَعَارِفِهِ، وَإِنَّمَا يُفِيدُ ذَلِكَ أَنَّ رُؤْيَا الْعَالَمِ تَصْدُرُ مِنْ طُرُقٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَأَنَّ
الْعَالَمَ الْوَاحِدَ يَدْنُو إِلَيْهِ الرُّوحُ تَبَعًا لَوُجْهَاتٍ نَظَرٍ مُتَبَايِنَةٍ وَمُتَوَّعَةٍ.

2 - الْمَلَامِحُ الْعَامَّةُ لِأَنْثُرُوبُولُوجِيَا كَاسِيرِرِ الْفَلَسَفِيَّةِ:

تُعَدُّ الْأَنْثُرُوبُولُوجِيَا الْفَلَسَفِيَّةُ الَّتِي صَاغَهَا فَيْلَسُوفُ الْأَشْكَالِ
الرَّمْزِيَّةِ بَدِيلًا عَنِ الْفَلَسَفَاتِ الْمِيْتَاْفِيْزِيْقِيَّةِ الَّتِي قَدِمَتْ تَنْظِيرَاتٍ صُورِيَّةً
عَنِ الطَّبِيعَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ اسْتَمَتَ بِالْمَفَاهِيمِ وَالْمَقُولَاتِ الْمَجْرَدَةِ، وَبَدِيلًا عَنِ
الْمُقَارِبَاتِ التَّجْرِبِيَّةِ وَالْفِيْزِيْقِيَّةِ لِلْأَنْثُرُوبُولُوجِيَا، ذَلِكَ أَنَّهَا عَمِلَتْ عَلَى
بَيَانِ مَعْنَى الْوُجُودِ الْإِنْسَانِيِّ وَقُدْرَتِهِ عَلَى مُمَارَسَةِ النَّفْسِ إِزَاءَ الْأَشْيَاءِ
وَالْمَفَاهِيمِ، وَلَوْ كَانَتْ مِحْورِيَّةً فِي حَيَاتِهِ، نَفْسِيًّا يَسْتَبْدِلُ بِهِ وُجُودًا بَآخَرَ
وَمَعْنَى يَمَثِيلُهُ أَوْ بِضْدِيْدِهِ، بِقَدْرِ مَا سَعَتْ إِلَى إِبْرَازِ اقْتِدَارِ الْإِنْسَانِ عَلَى
الْمُضْيِ أَبْعَدَ مِنْ مَحْضِ التَّقْيِ الْحَسِيِّ لِلْأَشْيَاءِ؛ وَلَوْلَا الْقُدْرَةُ عَلَى التَّرْمِيزِ

مَا كَانَ لِلنَّفْسِ وَاللَّجَاوِزِ وَلَا لِللُّغَةِ وَاللَّعْلِ أَنْ يَكُونُوا مُمَكِّنِينَ، إِذْ هَذِهِ
الْفَعَالِيَّاتُ جَمِيعًا مُشْتَقَّةٌ مِنَ التَّرْمِيزِ لَا الْعَكْسُ. لِهَذَا الدَّاعِي وَلِغَيْرِهِ،
قَدَّمَ كَاسِيرِرُ أَنْثْرُوبُولُوجِيَا فِلَسْفِيَّةً تَنْطَلِقُ مِنْ كَوْنِ الْإِنْسَانِ فِي طَبِيعَتِهِ
لَيْسَ كَائِنًا عَاقِلًا يَتَحَرَّكُ بِمُقْتَضَى مَعْقُولِيَّةِ جَوْهَرِهِ الْعَقْلِيِّ، بِمَعْزِلٍ عَنْ
مُقْتَضِيَّاتِ رَغْبَاتِهِ الْجِسْمَانِيَّةِ وَعَوَاطِفِهِ الْقَلْبِيَّةِ، وَإِنَّمَا هُوَ كَائِنٌ رَامِزٌ
يَتَشَابَكُ فِي عَمَلِيَّاتِ تَرْمِيزِهِ عَقْلُهُ وَوَجْدَانُهُ، أَهْوَاؤُهُ وَغَرَائِزُهُ .

عِلَاوَةً عَلَى ذَلِكَ، تُرَاعِي هَذِهِ الْأَنْثْرُوبُولُوجِيَا الْفِلَسْفِيَّةُ التَّنَوُّعَ
الْإِدْرَاكِيَّ وَالْمَنْظُورِيَّ لِلتَّجَارِبِ وَالثَّقَافَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ عَلَى تَقْيِضِ الْمَقَارِبَاتِ
ذَاتِ التَّرْزَعَةِ الطَّبِيعِيَّةِ الَّتِي لَا تُمَيِّزُ الْعَالَمَ الرُّوحَانِيَّ الْغَنِيِّ بِفُنُونِهِ
وَأَسَاطِيرِهِ وَأَدْيَانِهِ وَتَارِيخِهِ مِنَ الْعَالَمِ الْمَادِيِّ الشَّيْئِيِّ، بَلْ تَتَعَامَلُ مَعَ
الْعَالَمِ الْأَوَّلِ قِيَاسًا إِلَى الْعَالَمِ الثَّانِي، مِمَّا يَفْقِدُهُ دِينَامِيكِيَّتُهُ وَتَعَالِيهِ. لَا
شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الْأَنْثْرُوبُولُوجِيَا الْفِلَسْفِيَّةُ تَقُومُ عَلَى عَدَمِ إِغْفَالِ كَوْنِ
الْإِنْسَانِ «حَيَوَانًا رَامِزًا» (كَاسِيرِرُ أَرْنِسْتِ، 1961، ص 67) لَا يَفْتَأُ يُنتِجُ
رُمُوزًا يَمْتَطِيهَا كَيِّ يَفْقَهُ بَوَاطِنَهُ وَأَغْيَارَهُ مِنْ وَجْهِهِ وَلِيُجَوِّدَ عَلَى أَعْقَابِ
ذَلِكَ وَجُودَهُ الْفَرْدِيَّ وَالْجَمَاعِيَّ مِنْ وَجْهِ ثَانٍ.

بِفَضْلِ الْأَشْكَالِ الرَّمْزِيَّةِ حَقَّقَتِ الْإِنْسَانِيَّةُ مُسْتَوِيَّاتٍ عَالِيَةً مِنْ
فَهْمٍ مَا يَحِيطُ بِهَا وَتَفْسِيرِهِ بِقَدْرِ مَا حَقَّقَتْ لَهَا الْقُدْرَةَ عَلَى اسْتِشْرَافِ
الْمُسْتَقْبَلِ وَهُوَ مَا يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ الْعَالَمُ الْحَيَوَانِيُّ؛ إِذْ بَيْنَمَا تَكُونُ الْحَيَوَانَاتُ
أَسِيرَةً لِبَيْئَتِهَا وَتَسْتَجِيبُ لَهَا بِشَكْلِ غَرِيزِيٍّ، فَإِنَّ «الْإِنْسَانَ» بِصِفَتِهِ
الْحَيَوَانَ الرَّمْزِيَّ «قَادِرٌ عَلَى فَهْمِهَا عَلَى أَنَّهَا عَالَمٌ وَهَدَفٌ لِتَطْلُعَاتِهِ
وَمَشَارِعِهِ وَنَظَرِيَّاتِهِ». (Edward Skidelsky, 2008, pp. 103–104) إِذْ
عَلَى هَذِهِ الْأَشْكَالِ يَتَوَقَّفُ انْعِتَاقُ الْإِنْسَانِ مِنْ رِبْقَةِ الشَّرْطِ الْبَيُولُوجِيِّ،

وَهُوَ مَا حَادَ كَاسِيرِرْ عَلَى الْقَوْلِ: «دُونِ تَوَسُّطِ *l'interposition* الأشْكَالِ الرَّمْزِيَّةِ، سَتَكُونُ الْحَيَاةُ الْبَشَرِيَّةُ حَبِيسَةً دَاخِلَ حُدُودِ احتِجَاجَاتِهَا الْبَيُولُوجِيَّةِ وَمَصَالِحِهَا الْعَمَلِيَّةِ؛ وَلَنْ تُفْلِحَ فِي الْعُثُورِ عَلَى «العَالَمِ المِثَالِيِّ» الْمَفْتُوحِ لَهَا مِنْ مُخْتَلِفِ الْجَوَانِبِ بِفَضْلِ الدِّينِ وَالْفَنِّ وَالفِلَسَفَةِ وَالْعُلُومِ.» (Cassirer, 1996, IV, p.41)

لَمْ يَكُنْ إلْحَاحُ كَاسِيرِرْ عَلَى الْبُعْدِ الْوِظَافِيِّ لِلرَّمُوزِ فِي تَفَلُّسُفِهِ الْأَنْثُرُوبُولُوجِيِّ تَحْكُماً، وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِمُعَارَضَةِ ادِّعَاءِ بَعْضِ الْفِلَسَفَاتِ الصُّوفِيَّةِ وَالتَّأْمِلِيَّةِ وَالْحَيَاتِيَّةِ الَّتِي قَيَّضَتْ لِلْإِنْسَانِ مَعْرِفَةً فَوْرِيَّةً تَنْفُذُ إِلَى الْحَقَائِقِ مِنْ غَيْرِ وَسَاطَآتٍ، مُتْجَاهِلَةً وَجُودَ مَسَافَاتٍ بَيْنَ الدَّاتِ وَالْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ تَتِيحُ لِلْإِنْسَانِ الرَّمْزِ أَنْ يَتَحَرَّرَ مِنْ إِسَارِ الْإِنْعِمَاسِ الْعَيْنِيِّ فِي الْمَحْسُوسَاتِ بَوْسَاطَةِ الرَّمُوزِ الْحَيَّةِ الَّتِي تَتَفَاوَتُ مِنْ حَيْثُ انْعِتَاقُهَا مِنْ الْمُبَاشَرَةِ وَالشَّيْئِيَّةِ. إِذْ حَقِيقَةُ الثَّقَافَةِ تَكْمُنُ فِي قُوَّةِ التَّشْكِيلِ الَّتِي يُحَوِّلُ بِفَضْلِهَا الْإِنْسَانُ فِي مَسَارِ التَّارِيخِ الْإِنْطِبَاعَاتِ الْحَسِّيَّةِ إِلَى تَكْوِينَاتٍ لِلْمَعْنَى *configurations de sens*، نَائِيَةً بِنَفْسِهَا عَنْ طُغْيَانِ الطَّبِيعَةِ الْفَوْرِيَّةِ، وَمُنْشِئَةً طَبِيعَةً ثَانِيَةً إِذَا مَا انْفَكَّ عَنْهَا سَقَطَ ضَحِيَّةً لِلْإِغْتِرَابِ.

لِذَلِكَ مِنَ الْعَبَثِ الْحَدِيثُ، كَمَا عَبَّرَ أَيْضاً نَاتُورْب *Natorp* فِي كِتَابِهِ الْمَعْنُونِ بِ: "عِلْمُ النَّفْسِ الْعَامِّ حَسَبَ الْمَنْهَجِ النَّقْدِيِّ"، عَنْ عَوْدَةٍ إِلَى الْحَدْسِ كَمَا صَنَعَ بَرِغْسُون، وَإِنَّمَا الْمَطْلُوبُ "عَكْسُ اللَّحْنِ" *renverser la mélodie*، وَلَوْ بَدَأَ «مُعْرِياً»، إِذْ جَنَتْ الْعِرْفَانِ الْمُبَاشِرِ لِلْأَشْيَاءِ ضَائِعَةً وَيَتَعَذَّرُ الْعُثُورُ عَلَيْهَا مِنْ جَدِيدٍ، وَبِمَقْتَضَى ذَلِكَ

فَ«الْفَوْرِيُّ غَيْرُ مَعْرُوفٍ عَلَى الْفَوْرِ *l'immédiat n'est pas connu de* الْفَوْرِ *manière immédiate*» (Natorp, 2007, p.362) بَلْ لَا تَكُونُ الْمَعْرِفَةُ إِلَّا

بِوَسَائِطِ رَمْزِيَّةٍ تَشِفُّ عَنِ الْقُدْرَةِ التَّرْكِيبِيَّةِ لِلرُّوحِ فِي اتِّصَالِهِ بِمَا
حَوَالِيهِ .

فِي أَنْثُرُوبُولُوجِيَا كَاسِيرِرِ الْفَلَسَفِيَّةِ، لَا سَبِيلَ لِمُعَارَضَةِ الثَّقَافَةِ
بِالْحَيَاةِ، مَا دَامَ التَّرْمِيزُ الثَّقَافِيُّ مُفْصِحٌ عَنِ جَوْهَرِ الْحَيَاةِ، بِاعْتِبَارِهَا
رُقِيًّا جَدَلِيًّا مِنَ الْأَشْكَالِ الدُّنْيَا إِلَى الْأَشْكَالِ الْعُلْيَا، إِذِ لِلرُّوحِ فِي
سَيَرُورَةٍ إِعْطَائِهِ لِنَفْسِهِ أَشْكَالًا مَوْضُوعِيَّةً لَيْسَ شَيْئًا آخَرَ غَيْرَ الْحَيَاةِ،
لِذَلِكَ يُصْرِّحُ كَاسِيرِرُ بَأَنَّ «الْحَيَاةَ وَالشَّكْلَ يُؤَلَّفَانِ وَحْدَةً لَا انْفِصَامَ
لَهَا». (Cassirer, 1997, p.36-37) وَلَا يَخْفَى عَنَّا اتِّبَاعُ هَذَا التَّرْقِي الْجَدَلِيِّ
لِلرُّوحِ مِنَ الْأَشْكَالِ الثَّقَافِيَّةِ الْبَسِيطَةِ إِلَى الْأَشْكَالِ الْأَشَدِّ تَعْقِيدًا
لِتَوَجُّهِهِ مُضْطَرِّدٌ إِلَى وَجْهَةٍ مُحَدَّدَةٍ وَتَضْطَلَعُ فَلسَفَةُ الْأَشْكَالِ الرَّمْزِيَّةِ
بِتَحْدِيدِ التَّوَجُّهِ الْمَثَالِيِّ *orientation idéale* لِكُلِّ شَكْلٍ رَمْزِيٍّ عَلَى
جَدَةٍ، وَاهِبَةٍ مِنْ حِينِهَا رُؤْيَا كَوْنِيَّةً *universelle* وَتَأْلِيفِيَّةً *synthétique*.
(Cassirer, 1996, IV, p.417)

لَقَدْ أَفْرَعْتُ أَنْثُرُوبُولُوجِيَا كَاسِيرِرِ الْفَلَسَفِيَّةِ، كَمَا أَبَاتْتُ
مُحَاضَرَتُهُ الْمَعْنُوَّةَ "فَلَسَفَةُ وَسِيَّاسِيَّةُ" الْمُلَقَاةُ فِي شَهْرِ نَيْسَانَ فِي الْوَلَايَاتِ
الْأَمْرِيكِيَّةِ الْمُتَّحِدَةِ، جُهْدًا فَلَسْفِيًّا مِنْ أَجْلِ تَوْحِيدِ كُلِّ الْفَعَالِيَّاتِ
الْمُخْتَلِفَةِ لِلْإِنْسَانِ، مَا يَجْعَلُ لِلْمُتَنَوِّعِ الرَّمْزِيِّ، بِمَا هُوَ مُخْتَلِفُ تَجَلِّيَّاتِ
الثَّقَافَةِ، أَرْضِيَّةً مُشْتَرَكَةً (Donald Philip Verene, 1979, p.279) ،
وَهَذَا يُسَفِّرُ عَنِ رَغْبَةٍ عَمِيقَةٍ فِي إِعَادَةِ تَوْجِيهِ عَمَلِيَّةِ تَفَلُّسُفِ الثَّقَافَةِ عَلَى
نَحْوِ يَتَلَاوُفِ تَشْطِطِي الْمَعَارِفِ الَّذِي يُسَبِّهُ الْإِغَالُ الْأَعْمَى فِي التَّخْصُّصِ،
وَعَلَى مَنَوَالٍ يَتَفَادَى نَزْعُ الطَّابِعِ الشَّخْصِيِّ الْإِنْسَانِيِّ عَنِ الْعُلُومِ وَالتَّنْزُوعِ
التَّقْنِيِّ اللَّوَاعِي، وَمِنْ ثَمَّ النَّظَرُ إِلَى تَعَدُّ الْأَشْكَالِ الرَّمْزِيَّةِ لِلثَّقَافَةِ
الْمَتَابِيئَةِ وَالْمُعَارِضَةِ مِنْ زَاوِيَةِ نَظَرِ غَايَتِهَا الْمُشْتَرَكَةِ الْوَاحِدَةِ (Cassirer,

(p.70, 1944)، ما يُفيد إرجاع الفاعليات الترميزية إلى الوحدة الغائية للإنسان.

إنّ هذا المسعى التوحيدي لدى كاسيرر يتلو تلو الأنثروبولوجيا البرغماتية عند كانط التي تروى إلى المنطق والأخلاق والفلسفة الدين بعين توليفية تجعلها منوطة بالغاية نفسها، وخاضعة لمجموع ثنائيات أرنست كاسيرر (Cassirer, 1962, p.68)، غير أنّ ذلك لا يعني أنّ كاسيرر يقارب الإنسان مقارنةً جوهرانية تجعل له مبدأً محايثاً يقوم ماهيته الميتافيزيقية أو ملكة أو غريزة فطريتين تُفرض عنهما الملاحظة التجريبية. (Cassirer, 1944, pp. 347-348) علاوة على ذلك، فالأنثروبولوجيا الفلسفية لدى فيلسوف الأشكال الرمزية في مسعاها لتوحيد أشكال الثقافة ينبغي لها أن تستفيد من كل المعارف الممكنة سواء كان منهجها الاستبطان أم الملاحظة البيولوجية أم التحري التاريخي، شريطة أن يجري إعادة توجيهها شطر مركز فكري آخر جدير (Cassirer, 1962, p.68). ومن مواضع الجدة في هذا المركز الفكري الجديد تعريف الإنسان من طريق الكلية الشاملة لتحقيقات النوع الإنساني، بما هي عالم الثقافة أو المعنى الذي لا يمكن فصله عن التنظيم الإنساني، باعتباره مُعطى بيولوجياً للمخ والنظام العصبي (Cassirer, 1996, IV, p.43)، على خلاف المسلك الذي يُعرف الإنسان انطلاقاً من خصائصه البنيوية النوعية والملموسة. لا غرو من أن يستهدف كاسيرر النزعات الوضعية والطبيعية والمادية بالتقدّر اللادع، نظراً لتعارضها مع أيما أنثروبولوجيا فلسفية تُحقق ذات الإنسان وترقيتها من حيث هي ذات حرة وغير محدّدة سلفاً. يعدّ هذا اقتفاءً

بأنثروبولوجيًا ماكس شيلر Max Scheler الفلسفيّة التي نظرت إلى الإنسان من حيثيّة كونه كائنًا روحانيًا يفتّح باضطّرادٍ لا ينقطع على العالم انفتاحًا بناءً وفعلًا، وليس محض حيوان ينقاد إلى غرائزه ومحيطه انقيادًا سلبيًا ومباشريًا (Robert B. Loudon, 2008, p.517).

إنّ هذه النّزعة التركيبيّة الكلّيّة التي وسّمت أنثروبولوجيا كاسيرر الفلسفيّة دفعته إلى ردّ الاعتبار لأساطير الشعوب من حيث هي شكلٌ فكريٌّ أسطوريٌّ بدائيٌّ لا ينبغي لأيّ فلسفةٍ إنسانيّة أن تُقصيه من دائرة اهتمامها، وإنّما عليها أن تُعاينه على ضوء تحليل تاريخيٍّ في مَظانِ المجتمع البدائيّ وتبعًا لتطوّره التاريخيٍّ (Cassirer, 1944, p.68)، ذلك أنّ الأساطير ليست جمعًا بليدًا للخرافات والهدّيات الخرقاء وليست كذلك أشياء مُفتقرة للمعقوليّة والنّظام، وإنّما هي شكلٌ نسقيٌّ ومفهوميٌّ ذو مغزى ودلالةٍ (Cassirer, 1944, p.25). إضافةً إلى ذلك، فالأساطير ليست ظاهرةً ثانويّةً *épiphénomène* لظاهرة عبادة الطّبيعة الأساسيّة، ذلك أنّ المجتمع لا الطّبيعة هو النموذج الحقيقيّ للأسطورة، ما دام كلّ دوافعها الأساسيّة ليست سوى توقعاتٍ وإسقاطاتٍ *projections* لحياة الإنسان الاجتماعيّة (Cassirer, 1944, p.75)، وما ذلك إلا لكون الأساطير تُقدّم على غرار الفلسفة أجوبةً عن أسئلة الحياة والموت والهويّة الأنثروبولوجيّة، عساها تُقيّض للجماعات البشريّة معنىً لوجودها (Cassirer, 1944, p.348).

لقد ساق الاعتبار الفلسفيّ للشكل كاسيرر إلى التّطرّ إلى الأشكال الرّمزيّة والأوضاع الإنسانيّة بشهيةٍ تجريبيّة تستقصي الخبرات الإنسانيّة المتوّعة، كما تجلّت في التاريخ، وبزعةٍ عالميّة لا

تستبعد ما هو في متناولها من ثقافات الأمم المختلفة، لكنه لم يفعل عن التركيز على الوظيفة المؤسسة للعالم الماثلة في مختلف طرق التمثيل الرمزي، غير ملتفت إلى التأثيرات المحددة والآثار المادية. وما دعه إلى ذلك إلا كون الثقافة الإنسانية «تستمد طابعها النوعي وقيمها الفكرية والأخلاقية، لا من المادة التي تتألف منها، بل من شكلها، من بنيتها المعمارية». ويضرب كاسيرر مثالا عن ذلك بما أبدعته هيلين كيلر *Helen Keller*، على الرغم من فقدانها السمع والبصر، من عالم رمزي بفضل مواد فقيرة وبسيطة، إذ ليس الطوب والحجارة وغيرها من المواد العنصر الجوهري في تشييد العالم المعقول بوساطة الأشكال الرمزية، بل الوظيفة العامة بما هي شكل معماري *forme architecturale*، وبناء على ذلك، فعالم الطفل الأصم والأبكم والأعمى بمستطاعه أن يصير أرحب وأغنى من عالم الحيوان الأكثر تطورا (Cassirer, 1944, p.36).

3 - الإنسان والرمز من منظور أنثروبولوجيا أرنست كاسير:

تقوم الأنثروبولوجيا الفلسفية التي صاغها أرنست كاسيرر (1874 - 1945)، في سياق تأسيسه لمنطق خاص بالعلوم الثقافية وفي إطار فلسفة للثقافة (Cassirer, 1997, p. 140)، على نزعة إنسانية جلية تتخذ من الإنسان مقاما لتفكير الثقافة بتعدد تجلياتها، إذ هو الكائن الوحيد الذي تمكن من أن يعلو على مملكة الحيوان بوساطة ملكة الترميز التي لا تسمح له بفهم العالم وحده، وإنما بفهم ذاته وأغياره. هذه القدرة النوعية على إنشاء الرموز هي التي حادته في مقاله عن الإنسان (1944) *Essay on Man*، على تعريف الإنسان بأنه «الحيوان

الرَّمْزِيّ» الذي يَنْفَرِدُ بِالْقُدْرَةِ عَلَى إِتْجَاعِ أَكْوَانِ رَمْزِيَّةٍ تَخْلَعُ عَلَى وُجُودِهِ أَبْعَادًا غَنِيَّةً تَزِيدُهُ تَرْفِيًا وَتُنْعِمُ عَلَيْهِ بِعُمَقٍ رُوحَانِيٍّ لَا يَفْتَأُ يَنَاقِ بِهِ عَنِ الْمَمْلَكَةِ الْحَيَوَانِيَّةِ، وَذَلِكَ مَا يَتَحَقَّقُ بِأَفْضَالِ اللُّغَةِ وَالْأَسْطُورَةِ وَالِدِّينِ وَالْفَنِّ وَالتَّارِيخِ وَالْعُلُومِ. جَدَّ كَاسِيرِرَ وَاجْتَهَدَ، فِي كِتَابِهِ الضَّخْمِ "فِلَسَفَةُ الْأَشْكَالِ الرَّمْزِيَّةِ" الْمُؤَلَّفِ مِنْ ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ، فِي بَسْطِ نَظَرَةٍ عَامَّةٍ تَأَلِيفِيَّةٍ لِلثَّقَافَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَأَمَعَنَ فِي اسْتِظْهَارِ خُصُوصِيَّةِ كُلِّ مِنْ هَذِهِ «الْأَشْكَالِ الرَّمْزِيَّةِ»، مُشِيرًا إِلَى الْقُوَّةِ الْإِبْدَاعِيَّةِ لِلرُّوحِ الْإِنْسَانِيِّ الَّذِي يُنْتِجُهَا.

وَلَا يَعْزُبُ عَنِ مُؤَرِّخِي فِلَسَفَةِ الْكَانَاطِيَّةِ الْجَدِيدَةِ أَنَّ تَوْكِيدَ كَاسِيرِرِ الْقُدْرَةَ الْإِنْشَائِيَّةَ لِلْكَائِنِ الرَّامِزِ، الَّذِي لَا يَبْرَحُ يُحَوِّلُ ذَاتَهُ وَمَعْنَى الْعَالَمِ حَوْلَهُ، امْتِدَادًا لـ «الثَّورَةِ الْكُوبَرْنِيكِيَّةِ» الَّتِي أَشْعَلَ فَتِيلَهَا كَانِطٌ، مَا دَامَ قِوَامُهَا بَيَانُ النَّحْوِ الَّذِي يُؤَلَّفُ بِهِ الْعَقْلُ، مِنْ طَرِيقِ تَلْقَائِيَّتِهِ، أَنْظِمَةً وَدَسَاتِيرَ *kosmoi* مَوْضُوعِيَّةٍ وَمُنَسَّقَةٍ وَذَاتَ مَعْرَى. مَا كَانَ «الرَّهَانُ الْإِنْسَانِيُّ» الَّذِي تَخَيَّرَهُ كَاسِيرِرُ فِي مَقَالِهِ عَنِ الْإِنْسَانِ (1944) عَنْ مُصَادَفَةٍ وَهَوَى شَخْصِيٍّ، وَإِنَّمَا كَانَ نَتِيجَةً لَوَعْبِهِ بِالْمُمَيَّزَاتِ النَّوْعِيَّةِ لِلْفَاعِلِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، الَّتِي تَتَعَكَّسُ فِي مُنْتَجَاتِهِ الرُّوحَانِيَّةِ، مَا يُوجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَتَدَارَسَهَا بَعْدَهَا نَتَاجَ فَاعِلِيَّةٍ تَرْمِيزِيَّةٍ، وَلَيْسَتْ جَوَاهِرَ ثَابِتَةٍ غَرِيبَةٍ عَنِ الْفَاعِلِيَّةِ الْمُتَعَالِيَّةِ لِلْإِنْسَانِ الْمُنْتِجِ، يُعْبَرُ كَاسِيرِرُ عَنْ هَذَا بِقَوْلِهِ: "السَّيِّئَةُ الْفَرِيدَةُ لِلْإِنْسَانِ، عَلَامَتُهُ الْمُمَيَّزَةُ، لَيْسَتْ طَبِيعَتُهُ الْمِيتَافِيزِيكِيَّةُ أَوْ الْمَادِيَّةُ، وَإِنَّمَا عَمَلُهُ. إِنَّهُ هَذَا الْعَمَلُ، إِنَّهُ نِظَامُ الْأَنْشِطَةِ الْبَشَرِيَّةِ، الَّذِي يُعَرَّفُ وَيُحَدِّدُ دَائِرَةَ «الْإِنْسَانِيَّةِ». اللُّغَةُ وَالْأَسْطُورَةُ وَالِدِّينُ وَالْفَنُّ وَالْعُلُومُ وَالتَّارِيخُ هِيَ الْمَكُونَاتُ وَالْقِطَاعَاتُ الْمُخْتَلِفَةُ لِهَذِهِ الدَّائِرَةِ.

لِذَلِكَ فَإِنَّ «فلسفة الإنسان»، سَتَكُونُ فلسفةً مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُعْطِيَنَا نَظْرَةً
ثَاقِبَةً لِلْبِنْيَةِ الْأَسَاسِيَّةِ لِكُلِّ مِنْ هَذِهِ الْأَنْشِطَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَالَّتِي سَتَسْمَحُ
لَنَا فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ بِفَهْمِهَا عَلَى أَنَّهَا كَيَانٌ عُضْوِيٌّ" (Cassirer, 1944, p. 68).

لَا نَمْلِكُ قَبْلَ النَّفَازِ إِلَى تَحْلِيلِ النَّظَرِيَّةِ الثَّقَافِيَّةِ لَدَى أَرْنِسْتِ
كَاسِيرِرِ إِلَّا أَنْ نُسْتَعْرِضَ بَادئُ الْأَمْرِ الْمَعَانِي الَّتِي تَنْطَوِي عَلَيْهَا فِكْرَةُ
الرَّمْزِ، وَالَّتِي سَتُيَسِّرُ عَلَيْنَا الْإِلْمَامَ بِفُلْسَفَةِ الثَّقَافَةِ، كَمَا فَصَّلَهَا فِي
كُتَابَاتِهِ الْعَدِيدَةِ. إِنَّ مَحْوَرِيَّةَ الرَّمْزِ لَدَى فِيلْسُوفِنَا سَاقَتْهُ إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ
مَا يُمَيِّزُ الْإِنْسَانَ مِنَ الْحَيَوَانِ لَيْسَ شَيْئًا آخَرَ غَيْرَ الْوُظُفِيَّةِ الْمُمَيِّزَةِ
لِرُوحِهِ، الَّذِي بِمَقْدُورِهِ أَنْ يَحْيَا فِي بَعْدٍ آخَرَ مِنَ الْوَاقِعِ يَتَعَالَى عَنْ مَحْضِ
الاسْتِقْبَالِ الْحِسِّيِّ لِأَشْيَاءِ الْعَالَمِ الْمَحْسُوسِ، لِيَبْلُغَ بَعْدًا رُوحَانِيًّا قِيَامُهُ
الرَّمُوزُ (مخوخ، 2017، ص. ص 235-254). وَبِطَبِيعَةِ الْحَالِ، لَيْسَ
الْإِدْرَاكُ وَحْدَهُ مَنْ يُزَوِّدُ الْإِنْسَانَ وَالْحَيَوَانَ بِإِمْكَانِ الْإِتِّصَالِ بِمَا
حَوَالِيهِمَا، بَلْ يَتَّصِلُ كُلُّ مِنْهُمَا أَيْضًا بِالْعَالَمِ بِالْإِشَارَاتِ، لِذَلِكَ لَا
يَنْبَغِي الدُّهُولُ عَنْ الْقُدْرَةِ عَلَى الْكَشْفِ عَنِ الْعَلَامَاتِ أَوْ الْإِشَارَاتِ
وَالْتَعَرُّفِ إِلَيْهَا، ذَلِكَ أَنَّنا نَلْقَى فِي ظَوَاهِرَ كَثِيرَةٍ دَوْرَ الْإِشَارَةِ فِي
عَمَلِيَّاتِ الْفَهْمِ غَيْرِ الْمُبَاشِرِ، فَعَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ: الدُّخَانُ إِشَارَةٌ إِلَى
الْحَرِيقِ؛ وَرَائِحَةُ الْمُفْتَرَسِ إِشَارَةٌ إِلَى اقْتِرَافِهِ؛ وَرِبَاطُ الْعُنُقِ فِي يَدِ السَيِّدِ
إِشَارَةٌ إِلَى الْكَلْبِ بِأَنَّ وَقْتَ الْمَشْيِ قَدْ حَانَ، إلخ. فِي كُلِّ حَالَةٍ، يَكُونُ
لِلْإِشَارَةِ وُجُودٌ مَلْمُوسٌ يَسْتَدْعِي فَهْمًا مُعَيَّنًا مُعْطًى مِنْ طَرِيقِ مَادِيَّةِ
الْإِشَارَةِ، غَيْرَ أَنَّ الرَّمْزَ يَنْتَمِي إِلَى عَالَمِ الْمَعْنَى حَيْثُ التَّعَالَى عَلَى الْمَادِيَّةِ
الْمُبَاشِرَةِ، يَشْرُحُ كَاسِيرِرُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: "تَنْتَمِي الْإِشَارَاتُ وَالرَّمُوزُ إِلَى
عَالَمَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ لِلْكَلامِ: الْإِشَارَةُ جُزْءٌ مِنْ عَالَمِ الْوُجُودِ الْمَادِي؛ لَوَأَمًا]

الرُّمُزُ فَجُزْءٌ مِنْ عَالَمِ الْمَعْنَى الْبَشَرِيِّ [...] وَمَعَ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْإِشَارَاتِ، حَتَّى عِنْدَمَا تُفْهَمُ أَوْ تُسْتَخْدَمُ عَلَى هَذَا النَّحْوِ، لَهَا نَوْعٌ مِنَ الْوُجُودِ الْمَادِيِّ أَوْ الْجَوْهَرِيِّ؛ بَيْنَمَا الرُّمُوزُ لَهَا قِيَمَةٌ وَظِلْفِيَّةٌ لَا غَيْرُ" (Cassirer, 1944, p. 32).

يَكْشِفُ هَذَا الشَّاهِدُ أَنَّ الرُّمُوزَ تَتَمَيَّزُ مِنَ الْإِشَارَاتِ بِطَبِيعَتِهَا الْمُتَعَالِيَّةِ عَنِ الْمَحْسُوسَاتِ الْمُبَاشِرَةِ، مَا يُحَرِّرُ الْعَقْلَ مِنْ اعْتِمَادِهِ الْمِيكَانِيكِيِّ عَلَى الْبَيْئَةِ الْفِيزِيَاثِيَّةِ، مِنْ دِيكَتَاتُورِيَّةِ الْهَنَاءِ وَالْآنِ الَّتِي، مَا يَزَالُ الْحَيَوَانُ خَاضِعًا لَهَا، لَا يَمْلِكُ مِنْهَا أَنْفِكَاكَ (كَاسِيرِرْ أَرْنِسْتِ، 1961، صص 66 - 67). وَيَتَحَقَّقُ لَهُ ذَلِكَ مِنْ طَرِيقِ تَوْسُلِهِ أَدَاةً وَعُضْوًا رُوحِيًّا لِإِثْنَاتِج، بِطَرِيقَةِ إِبْدَاعِيَّةٍ وَعَفَوِيَّةٍ، أَكْوَانٍ رُمُوزِيَّةٍ اعْتَدْنَا أَنْ نُسَمِّيَهَا ثَقَافَةً، مِثْلَ الْفَنِّ وَاللُّغَةِ وَالْعُلُومِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ. مِنْ غَيْرِ قَنَاءَةِ الْإِتِّصَالِ هَذِهِ، يَعْجَزُ الْإِنْسَانُ عَنْ تَشْيِيدِ عِلَاقَاتِهِ الْبَشَرِيَّةِ وَصِلَتِهِ بِالْوَاقِعِ. فَاِمْمَكَانُ الثَّقَافَةِ مَوْكُولٌ إِذْنًا إِلَى الرُّمُوزِيَّةِ، الَّتِي هِيَ خَاصِيَّةٌ شَامِلَةٌ يَمْتَازُ بِهَا الْبَشَرُ، وَبَهَا يُشْيَدُونَ مَا يَجْعَلُهُمْ كِيْنُونَةً فَوْقَ الْحَيَوَانِ، يُفْرِجُ كَاسِيرِرْ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ: "مَبْدَأُ الرُّمُوزِيَّةِ، بِشُمُولِيَّتِهِ وَصَلَاحِيَّتِهِ وَقَابَلِيَّتِهِ لِلتَّطْبِيقِ بِصُورَةٍ عَامَّةٍ، هُوَ الْكَلِمَةُ السَّحَرِيَّةُ، "افْتَحْ يَا سَمْسَم!" الَّتِي تُثَبِّحُ الْوُلُوجَ إِلَى الْعَالَمِ، الَّذِي هُوَ عَلَى نَحْوِ خَاصٍّ عَالَمٍ إِنْسَانِيٍّ، وَإِلَى عَالَمِ الثَّقَافَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ" (Cassirer, 1944, p 35).

4-فِلَسَفَةُ الثَّقَافَةِ وَالْمُنْهَجِ الْمُتَعَالِي: شُرُوطُ الْإِمْمَكَانِ بَيْنَ كَانُطِ وَكَاسِيرِرْ:

لَا يَخْفَى عَلَى الَّذِينَ لَهُمْ أُلْفَةٌ بِنُصُوصِ كَاسِيرِرْ أَنَّ الْمُنْهَجِيَّةَ ذَاتَ النَّفْسِ الْكَانُطِيَّ الَّتِي حَكَمَتْ تَقْرِيرَاتِهِ تَسْلُكُ مَسْلَكَ تَدَبُّرِ الْأَفْعَالِ الَّتِي يَجْرِي بِهَا تَشْكِيلُ الْوُجُودِ *configuration de l'être*، وَلَيْسَ مَسْلَكَ

النَّظَرُ فِي الوجودِ نَفْسِهِ، بِمَعْيَةِ هَذَا الانْعِطَافِ إِلَى الْإِنْسَانِ النَّاطِرِ لَأ إِلَى الْمَنْظُورِ، لَمْ يَعِدِ الْأَمْرُ يَتَعَلَّقُ بِمُقَارِبَةِ الْأَشْيَاءِ الْمَوْجُودَةِ فِي ذَاتِهَا، فِي كَوْنِهَا عَلَى هَذَا النُّحُوِّ أَوْ ذَلِكَ (Sosein)، وَلَكِنْ بِحُسْبَانِهَا مِنْ حَيْثِيَّةِ فَاعِلِيَّةِ الرُّوحِ الَّتِي تَجْعَلُهَا مُتَاحَةً لَنَا فَقَطُّ مِنْ طَرِيقِ مَقُولَاتِ نَوْعِيَّةٍ كَانَ كَانَتْ يَصْطَلِحُ عَلَيْهَا «الفَهْمُ الْخَالِصُ» وَالَّتِي تَجْعَلُ تَشَكُّلَ الْأَشْيَاءِ فِي الْأَفْهَامِ بِهَذِهِ الصُّورَةِ أَوْ تِلْكَ أَمْرًا مُمَكِّنًا.

وَهَذَا الرُّوحُ، بِوَصْفِهِ طَاقَةٌ تَشَكُّلٌ وَفَقَ طَرِزٌ مُعَيَّنٌ، يُمَكِّنُ أَنْ نَعُدَّهُ مَلَكَةَ الْقَوَاعِدِ، لِذَلِكَ فَهُوَ مُنْطَوٍ عَلَى مَا يُشْبِهُ مُنْطَقًا لِلوجودِ، وَبِهِ نَخْلَعُ الْإِنْتِظَامَ *régularité* أَوْ الْقَانُونِيَّةَ *légalité* عَلَى الْأَشْيَاءِ، صَانِعِينَ بِذَلِكَ مَعَارِفَ عَدِيدَةً. وَمَا الْفَلَسَفَةُ فِي سِيَاقِ ذَلِكَ سِوَى «الْوَعْيِ الْمُنْطَقِيِّ بِالْثَّقَافَةِ *conscience logique de la culture*» الَّذِي يَطْرَحُ مَسْأَلَةَ «شُرُوطِ الْإِمْكَانِ» (Cassirer, 1995, p.61). وَبِهَذَا الْمَعْنَى، فَإِنَّ الْمَعَارِفَ أَوْ الثَّقَافَاتِ الْمُنْتَجَةَ مُتَوَقِّفَةً عَلَى إِنْفَاضِ الْمِبَادِي الْأَسَاسِيَّةِ لِلْفَهْمِ، حِينَ الْإِتِّصَالِ بِأَشْيَاءِ الْعَالَمِ، وَهَذَا يَجْعَلُنَا لَا نَقْدُ مُبَاشَرَةً إِلَى الرُّوحِ وَلَا نُدْرِكُ مَا هَيْئَتُهُ إِلَّا بِطَرِيقَةِ انْعِكَاسِيَّةٍ تَأْمَلِيَّةٍ. مُفَادُ ذَلِكَ تَعَدُّرُ إِدْرَاكِ الرُّوحِ تَبَعًا لِمَقُولَةِ الْجَوْهَرِ؛ إِذْ لَا يُعْطَى الرُّوحُ إِلَّا طَبَقًا لِمَقُولَةِ الْفَاعِلِيَّةِ. بِتَعْبِيرٍ آخَرَ، الرُّوحُ نَشَاطٌ وَقُدْرَةٌ فَاعِلَةٌ فِي صِلَةٍ بِمَحْسُوسٍ يَجْرِي تَرْمِيزُهُ أَوْ بِمَحْسُوسٍ تَمَّ تَرْمِيزُهُ، لِذَلِكَ يُعَبِّرُ كَاسِيرِرُ عَنِ الرُّوحِ قَائِلًا: "هَذَا الْأَخِيرُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَأْتِيَ إِلَيْنَا إِلَّا فِي نَشَاطِهِ لِتَشَكُّلِ الْمَادَّةِ الْمَحْسُوسَةِ" (Cassirer, 1972, I, p.30).

مُدْعَى هَذَا الشَّاهِدِ كَمَا تُشِيرُ إِلَيْهِ "مُقَدِّمَةُ" كِتَابِ فِلَسَفَةِ الْأَشْكَالِ الرَّمْزِيَّةِ تَطْبِيقٌ لِلْمَنْهَجِ الْمُتَعَالِي وَتَعْمِيقٌ "approfondissement" وَتَوْسِيعٌ "élargissement" وَتَحَوُّلٌ

"transformation" له (Cassirer, 1972, I, p. 28). وكان مُرامهُ من وراء ذلك الإحاطة بعلوم الروح التي سيطلق عليها علوم الثقافة. ولَسْنَا مُجَانِبِينَ لِّلسَّادِ إِذْ نَقُولُ إِنَّ هَذَا الْمَنْهَجَ الْكَائِطِيَّ يُقَدِّمُ عَلَى الْأَصَالَةِ نَظْرِيَّةً فِي الرُّوحِ الَّذِي لَا يُنْفَذُ إِلَيْهِ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ تَمْوُضُعَاتِهِ *objectivations*، أَيْ بِوَسَاطَةِ فَاعِلِيَّةِ التَّرْمِيزِ الْمُصْطَلَعَةِ لِعُلُومِ الثَّقَافَةِ، بِمَا هِيَ التَّشَاطُ التَّرْكَيبِيُّ الَّذِي يُشَكِّلُ مَوْضُوعَاتِهِ الْمَعْرِفِيَّةَ أَوْ الْقُوَى الْإِبْدَاعِيَّةَ *forces créatrices* وَالتَّكْوِينِيَّةَ الْأَصْلِيَّةَ الْمُنَشَّئَةَ لِلرُّمُوزِ الثَّقَافِيَّةِ. (Cassirer, 1972, I, p. 18)

وَفِي هَذَا الْمَقَامِ عَلَى فَيْلَسُوفِ الثَّقَافَةِ أَلَّا يَفْحَصَ الْأَنْوَاعَ الثَّقَافِيَّةَ إِلَّا مِنْ حَيْثِيَّةِ الْكَشْفِ عَنْ "إِرَادَةِ الشَّكْلِ" "*volonté de forme*" (Cassirer, 1997, p.39) الَّتِي تَسْبِقُهَا وَتُتَجِّهُهَا وَبِمُوجِبِ "إِرَادَةِ إِعْطَاءِ الشَّكْلِ" هَذِهِ (Cassirer, 1988, p.37) مِنَ الْمَطْلُوبِ أَلَّا تُعَدَّ الثَّقَافَاتُ جَوَاهِرَ *substances*، بَلْ وَظَائِفَ *fonctions* (Cassirer, 1995, p.245) تَتَجَلَّى فِي «مَفْهُومِ الْعِلَاقَةِ» الَّذِي يَصِلُ الْمَعْطَى التَّارِيخِيَّ وَالرَّمْزِيَّ بِالْبُعْدِ الْمَعْنَوِيِّ (Cassirer, 1995, p.245). وَعَلَى أَسَاسِ ذَلِكَ، فَأَضْرِبُ الثَّقَافَةَ، مِنْ فَنٍّ وَأَسْطُورَةٍ وَدِينٍ وَعِلْمٍ، لَيْسَتْ أَنْعِكَاسًا مُبَاشِرًا لِلْمَوْضُوعَاتِ، وَلَكِنْ هِيَ أَشْيَاءٌ حَتَّى يُحَاوَلَ بَعْضُ عُلَمَاءِ الْجَمْعِ، أَثْنَاءَ تَدَارُسِهَا، تَشْيِئُهَا، وَإِنَّمَا هِيَ تَجَلٍّ لَوْهَبِ الْمَعْنَى *donation de sens*. فَإِنْ كَانَ هَذَا تَقْوِيزٌ لِلْمُقَارَبَاتِ الْعِلْمِيَّةِ لِلثَّقَافَاتِ، فَهُوَ أَيْضًا نَقْضٌ لِلدَّعَاءِ الصُّوْفِيِّ الَّذِي مُفَادُهُ امْتِلَاكُ الْقُدْرَةِ عَلَى التَّفَاقُذِ الْمُبَاشِرِ إِلَى الْأَشْيَاءِ مِنْ غَيْرِ وَسَاطَاتٍ مَحْسُوسَةٍ وَرَمْزِيَّةٍ. بَدَلًا مِنْ هَذَا وَذَلِكَ؛ يُقَدِّمُ كَاسِيرِرُ الْمُقَارَبَةَ الْوُضُفِيَّةَ الْمُسْتَدَّةَ إِلَى الْمَنْهَجِ الْمُتَعَالِي، الَّذِي يَحْفَظُ

النَّشَاطُ التَّالِيفِيُّ *l'activité synthétique*، جَاعِلًا إِضْفَاءَ الشَّكْلِ عَلَى شَيْءٍ أَمْرًا مُمَكِّنًا، أَعْنِي الْبَحْثَ عَنْ عَمَلِيَّةِ التَّمَوُّضِ، وَلَيْسَ الْبَدْءُ مُبَاشَرَةً مِنْ تَحْلِيلِ الْمَوْضُوعَاتِ الْمَعْطَاةِ؛ يُعْرَبُ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: "لَا يُمَكِّنُ تَعْرِيفُ وَحْدَةِ الْمَجَالِ الرُّوحِيِّ أَوْ الْحِفَاطُ عَلَيْهَا انْطِلَاقًا مِنَ الشَّيْءِ، وَلَكِنْ فَقَطْ انْطِلَاقًا مِنَ الْوُظُفَةِ الَّتِي يَقُومُ عَلَيْهَا" (Cassirer, E., Carro, J., & Gaubert, J, 1997, p.11)

لِاجْلِ هَذَا وَلِدَوَاعِي أُخْرَى، لَأُتَعَلَّقَ عُلُومُ الثَّقَافَةِ بِالْأَشْيَاءِ، بَلْ "بِأَشْكَالِ" الثَّقَافَةِ أَوْ بِالصُّوَرِ الَّتِي يَتَمَوَّضُ بِهَا الرُّوحُ فِي الْمَجْتَمَعِ وَالتَّارِيخِ وَالْدِّينِ وَالْفَنِّ وَمَا إِلَى ذَلِكَ. يَتَعَدَّرُ عَلَى الدَّارِسِ فَهْمُ هَذِهِ الْأَشْكَالِ، مِنْ غَيْرِ "الْعُودَةِ إِلَى مَبَادِي عُلُومِ الرُّوحِ، إِلَى شُرُوطِ امْكِانِهَا" (Cassirer, 1996, p.151). بِمَقْتَضَى ذَلِكَ لَوْ قَدَمَتِ الثَّقَافَةُ الْبَشَرِيَّةُ نَفْسَهَا فِي هَيْئَةِ الْوَتَائِقِ الْمَادِيَّةِ وَالْآثَارِ وَالْأَجْهَظَةِ وَاللُّوْحَاتِ وَالْمَنْحُوتَاتِ، فَلَا يَمْلِكُ فَاحِصُ الثَّقَافَةِ إِلَّا التَّأْوِيلَ سَبِيلًا، لِبَيَانِ مَعَانِيهَا وَالْوُظَائِفِ الَّتِي تَشِفُّ عَنْهَا، بِحَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ تَالُوثُ دِيَتَاي: الْحَيَاةُ *Leben*، وَالتَّبْيِيرُ *Ausdruck*، وَالفَهْمُ *Verstehen*. (Cassirer, 1996, p.150)

ثَانِيًا: وَحْدَةُ الرَّمُوزِ الثَّقَافِيَّةِ وَتَعَدُّدُهَا مِنْ مَنظُورِ فِلَسَفَةِ الْأَشْكَالِ الرَّمْزِيَّةِ:

1 - فِي دِلَالَةِ الشَّكْلِ الرَّمْزِيِّ:

لَا رَيْبَ أَنَّ قِوَامَ الْبَرْنَامِجِ الْفِلَسْفِيِّ الَّذِي صَاغَهُ كَاسِيرِرْ فِي غُضُونِ عُقُودٍ مِنَ التَّأَمُّلِ الْفِلَسْفِيِّ هُوَ تَحْلِيلُ ظُرُوفِ امْكِانِ الثَّقَافَةِ، وَمُقَادُّ ذَلِكَ أَنَّ "فَهْمَ الْعَالَمِ" *"compréhension du monde"* (Cassirer,)، *"Heidegger, 1972, p.27"* مَنُوطٌ بِ"الْأَسْطَةِ التَّكُونِيَّةِ الْمَكُونَةِ لِلْعَالَمِ" *"activités formatrices constitutantes du monde"*. لِتَوْضِيحِ هَذَا النِّهَجِ،

يَنْبَغِي العُودَةُ إِلَى فيلهلم فون هُومْبُولْت *Wilhelm von Humboldt* الَّذِي اسْتَعَارَ مِنْهُ كَاسِيرِر التَّرْكِيزَ عَلَى الدَّوْرِ المَهْمِ الَّذِي تَضطلعُ بِهِ اللُّغَةُ، مِنْ حَيْثُ هِيَ مَفْدَةٌ إِلَى العَالَمِ؛ وَبِعِبَارَةٍ دَقِيقَةٍ مِنْ حَيْثُ هِيَ رُؤْيَا لِلْعَالَمِ. وَتَأْسِيسًا عَلَيْهَا حَلَّلَ الأشْكَالَ الرَّمْزِيَّةَ الأُخْرَى الَّتِي تُعْبِرُ عَنْ نَفْسِهَا بِتَوْسُطِهَا أَيْضًا. إِذْ مَا دَامَتِ اللُّغَةُ حَاسِمَةً "فِي رُؤْيَا العَالَمِ" *vision du monde Weltansicht*، فَإِنَّ عَوَالِمَنَا سَتَتَبَايُنُ بِتَبَايُنِ اللُّغَاتِ الَّتِي نَتَحَدَّثُهَا مِنْ نَاحِيَةٍ، وَبِتَعَدُّدِ الطَّرِيقِ الَّتِي يَجْرِي تَصَوُّرُهَا مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى. فِي وَاقِعِ الأَمْرِ، فَاللُّغَاتُ بِهَذَا المَعْنَى لَيْسَتْ حَيَادِيَّةً وَمَحْضَ قَوَالِبَ لِلتَّفْكِيرِ، وَإِنَّمَا تَنْطَوِي فِي هَيْكَلِيَّتِهَا عَلَى تَوَجُّهِ مَا وَتَعْيِينِ مُحَدِّدٍ لِلأَشْيَاءِ، لِذَلِكَ يَنْبَغِي أَلَّا تَعُزَّبَ عَنَّا الأَنْحَاءُ الَّتِي تُعَيِّنُ بِهَا اللُّغَةُ العَالَمَ مُسَبِّقًا مِنْ طَرِيقِ المَقُولَاتِ اللُّغَوِيَّةِ الَّتِي تَمْنَعُ المَتَحَدِّثَ مِنَ التَّعْبِيرِ كَيْفَمَا اتَّفَقَ لَهُ الأَمْرُ *n'importe comment* عَنِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي يَرَى بِهَا العَالَمَ، بِقَدَرِ مَا تَحُولُ بَيْنَهُ وَقَوْلِ العَالَمِ فِي كَلِيَّتِهِ.

اسْتِئَادًا إِلَى نَظَرِيَّةِ اللُّغَةِ، كَمَا فَصَّلَهَا هُومْبُولْت، أَعْرَبَ كَاسِيرِر قَائِلًا: "فَالْإِنْسَانُ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى التَّفْكِيرِ وَتَصَوُّرِ العَالَمِ بِوَسِيطَةِ اللُّغَةِ؛ بَلْ إِنَّ هَذَا العُنْصَرَ الوَسِيطَ لَهُو الَّذِي يَشْرِطُ وَيُحَدِّدُ الطَّرِيقَةَ الَّتِي يَرَى بِهَا بِالحَدْسِ وَيَعِيشُ فِي هَذَا الحَدْسِ. إِنَّ فَهْمَهُ لِوَاقِعِ "مَوْضُوعِي" مَا، الطَّرِيقَةَ الَّتِي يَقْتَرِحُهَا عَلَى نَفْسِهِ بِاعتِبَارِهَا كَلًّا وَالشَّكْلَ الَّذِي يُبْصِرُهُ دَاخَلَ التَّفَاصِيلِ الَّتِي يُشَارِكُهَا وَيُنْظِمُهَا - لِيُؤَلِّفَ كُلُّ هَذَا مُسَبِّقًا عَمَلًا لَا يُمَكِّنُ إِجْرَازَهُ وَإِنْهَاؤَهُ دُونَ تَعَاوُنٍ، دُونَ "الطَّاقَةِ الحَيَّةِ لِلُّغَةِ". (Cassirer, 1972, III, p.27).

إذا من الحِصافة، ابتغاء فهم الأبعاد المختلفة لفلسفة كاسيرر، الرجوع إلى الخلفيات الفلسفية والألسنية التي متحت منها وقامت عليها، وفي هذا السياق، ينبغي ألا يعزب عنا الدور الذي نهضت به «فلسفة اللغة» لدى هومبولت Humboldt التي أزاحت اللثام عن العلامة المنطوقة *le signe parlé* بصفتها «طاقة من الداخل تطبع ذاتها وتصبح موضوعية في الخارج». لنن جري الكثير من المنظرين إلى حسابان العلامة إما تعبيراً بسيطاً (النموذج الذاتي *Modèle subjectiviste*) وإما تقليدياً بسيطاً (النموذج الموضوعي *Modèle objectiviste*)، فإن هومبولت Humboldt سار إلى اعتبار الوساطة نفسها *médiation* مُطلقاً له، بقدر اعتداده بظاهرة التداخل أو التثاقف *interpénétration* بين الذاتية والموضوعية اللذين يتشكلان في العملية الرمزية نفسها التي لا تنفك من الاتيصال التدريجي من المادة إلى الشكل. (Cassirer, 1972, I, pp.34-35-51)

جرباً على هذا النحو في تناول الثقافة، يذهب إليه كاسيرر إلى أن العالم بهذا المعنى لا يكون إلا من طريق الثقافة؛ مفاد ذلك أن العالم متوقف في وجوده وعدمه على فاعلية صياغة المواد المغطاة بطريقة "رمزية" في هذا الشكل أو ذاك. بموجب ذلك فإن تكون ذا عالم معناه أن تكون ذا ثقافة، ودون ذلك سيعجز الإنسان أن يتصرف تصرفاً إنسانياً وأن يتعرف إلى نفسه وغيره، إذ العلاقة بالذات والغير تشترط ثقافة، وهو ذا ما سمح لكاسيرر أن يحدث تنويراً فلسفياً في مطاويه جري نقل الكوجيطو الديكارتية من الوعي المباشر لنا إلى الوعي الواسطي لـ "نحن الثقافي" وهذا ما يعززه ما أورده في كتابه "منطق العلوم الثقافية" من أن معنى الأنا والآخر والعالم المشترك بينهما ليس

بتأنا مجرد معطيات، وإنما عناصر متوسطة *médiatisés* بالحوار
البيداتي، بما هو فاعلية ثقافية مقومة. يُفرج عن ذلك قوله: «إن الأنا
Le je والأنت *le tu* لا يوجدان إلا بمقدار ما يكون أحدهما من أجل
الآخر، وبمقدار ما يوجدان في صلة وظيفية للتشارط المتبادل. وواقعة
الثقافة ببساطة هي التعبير الأوضح والدليل الدامع *incontestable* على
التشارط المتبادل (Cassirer, 2000, trans. Lofts, p.49) كان تواجد الأنا
والأنت تواجد ائتلاف وتوافق أو تواجد خلاف وتنازع، فإن ذلك لا
يحصل إلا في/ب الثقافة وأشكالها التعبيرية. (Cassirer, 2000, trans.
Lofts, pp.50-51) في غضون التلفظ بالكلام وإنشاء الصور، فالأفراد
لا يتشاركون فقط ما يحوزتهم من أفكار ومشاعر وأشياء، وإنما
يشيدون رؤيتهم الفكرية الخاصة، إذ بمقتضى التفاعل التواصلي،
وبأفضال اللغة، فالآخر بوصفه أننا يقدح في الأنا تصوراتيه، فيسهمان
معاً، ومن أجلهما، أثناء سيرورة الحوار في ابتداع "عالم مشترك

"monde commun" من المعنى. (Cassirer, 2000, trans. Lofts, p.53)

عوداً إلى محورية الوسائط الرمزية، فالإنسان لا ينفذ إلى عالمه
الدخلي نفاذاً مباشراً، إذ الاستبطان نفسه لا يكون إلا بتكوين
علامات *l'institution de signes* تُعبر عن ذلك الجهد الذي يُفرغه
الإنسان في مساعيه للتفكير والمعرفة، لذلك من الممكن أن نتحدث
هنا عن فلسفة للثقافة تنقل من مستوى العالي إلى المستوى الدلالي أو
السيمائي (Jean Lassègue, 2016). وقياساً إلى سيمياء الثقافة هذه،
فإن الفن والأسطورة والدين والعلم ليست مجرد تعبيرات، وكما استرداداً

restitution لواقِعٍ مُعَيَّنٍ، وإِنَّمَا هِيَ فَعَالِيَّاتٌ تَكْوِينِ *constitutions* مُتَبَادِلَةٌ بَيْنَ الدَّاتِ وَالْعَالَمِ فِي الْأَشْكَالِ الرَّمْزِيَّةِ.

2 -تَنَوُّعُ أَشْكَالِ الثَّقَافَةِ فِي أَفْقِ وَحْدَةِ الْفَاعِلِيَّاتِ التَّرْمِيزِيَّةِ:

إِنَّ كَانِطَ، حِينَ أَنْشَأَ مَفْهُومَهُ عَنِ الْوَحْدَةِ الْمُتَعَالِيَّةِ لِلْإِدْرَاكِ، لَمْ يَكُنْ مُرَامُهُ أَنْ يُكَلِّمَنَا عَنْ شَأْنِ نَفْسِيٍّ عَابِرٍ، وَلَا عَنْ خِبْرَةٍ فَانِيَّةٍ، بَلْ عَنْ شَرْطٍ لَا مُزْحَاحَ لَهُ مِنْ شُرُوطِ إِمْكَانِ الْمَعْرِفَةِ ذَاتِهَا. فَقَدْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ شَتَاتَ الْمُحْسُوسَاتِ لَا يَتَّوَحَّدُ فِي "تَجْرِبَةٍ" إِلَّا إِذَا أَشْرَفَ عَلَيْهَا ذَلِكَ "الْأَنَا أَفْكَرُ"، الَّذِي لَا يَبْرَحُ يُصَاحِبُ كُلَّ شَكْلٍ مِنْ أَشْكَالِ الْوَعْيِ، وَأَنْ يُوَحِّدَهَا فِي تَرْكِيْبٍ وَاحِدٍ مُتْرَابِطٍ، فَالْوَحْدَةُ بِمُوجِبِ ذَلِكَ لَيْسَتْ عَرَضًا يَتَبَدَّلُ، بَلْ هِيَ ضَرُورَةٌ عُلُويَّةٌ، يَسْتَمِدُّ بِهَا الْعَقْلُ مَا بِهِ يَكُونُ مَوْضُوعُ الْمَعْرِفَةِ مَوْضُوعًا.

وَمِنْ هَذِهِ الرِّكِيْزَةِ أَقْبَلَ كَاسِيرِرَ لِيُمَدِّدَ مَفْهُومَ كَانِطَ عَنِ الْوَحْدَةِ إِلَى آفَاقٍ أَرْحَبَ (مخوخ، 2017، ص ص 67 -70). بَعْدَمَا أَدْرَكَ أَنَّ الْقَوْلَ بِالْوَحْدَةِ لَا مُحِيصَ عَنْهُ، وَلَكِنَّهُ سَأَلَ: أَسَى لِهَذِهِ الْوَحْدَةِ أَنْ تَتَجَلَّى فِي حَيَاةِ الرُّوحِ، مَعَ أَنَّهَا تَحْيَا بَيْنَ تَعَدُّدٍ يَنْدُ عَنِ الْإِحْصَاءِ مِنْ تَجَلِّيَّاتِ الثَّقَافَةِ وَتَنَوُّعِ الثَّقَافَاتِ؟ فَمَا كَانَ جَوَابُهُ غَيْرَ هَذَا: إِنَّ الْوَحْدَةَ لَيْسَتْ هَيْكَلًا مُتَحَجِّرًا، بَلْ هِيَ وَظِيفَةٌ رُوحِيَّةٌ، تَتَبَدَّى فِي ظَوَاهِرَ رَمْزِيَّةٍ كَثِيرَةٍ، كَاللُّغَةِ، وَالْأُسْطُورَةِ، وَالْفَنِّ، وَالدِّينِ، وَالْعِلْمِ. فَكُلُّ مَظْهَرٍ مِنْهَا لَيْسَ صُورَةً ثَابِتَةً عَنْ حَقِيقَةٍ أَصْلِيَّةٍ، بَلْ هُوَ عَيْنُ ظُهُورِ تِلْكَ الْقُدْرَةِ الْمُوَحِّدَةِ الَّتِي تَجْعَلُ مِنَ الْفَوْضَى عَالَمًا، وَمِنْ الْمُتَنَاسَرِ نِظَامًا .

حَرِيٌّ بِنَا أَلَا تَعْرُبُ عَنَّا التَّمْهِيصَاتُ الَّتِي أَجْرَاهَا كَاسِيرِرَ عَلَى مَفْهُومِ الْوَحْدَةِ عِنْدَ كَانِطَ، فَقَدْ اسْتَبَقَى ضَرُورِيَّةَ وَحْدَةِ الثَّقَافَةِ، وَفَتَحَ

المَجَال لِتَعْدُّهَا؛ مَا صَانَ لِلثَّقَافَةِ وَتَقَاتِ الشُّعُوبِ فَرَادَةَ كُلِّ نَمَطٍ مِنْهَا عَلَى انْفِرَادٍ، وَأَمَّنَ لَهَا فِي اللَّحْظَةِ ذَاتِهَا قَانُونًا خَفِيًّا يُوحِدُهَا. فَهِيَ لَيْسَتْ مَظَاهِرَ مُبَدَّةً، وَلَا جُزْرًا مَفْصُولَةً، بَلْ هِيَ أَنْهَارٌ تَتَفَرَّقُ وَتَتَشَعَّبُ، لَكِنَّهَا تَتَدَفَّقُ مِنْ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ، وَمَا هِيَ إِلَّا قُدْرَةُ الرُّوحِ عَلَى التَّكْوِينِ الرَّمْزِيِّ. يُوجِي مَفْهُومُ كَاسِيرِرِ عَنِ الْوَحْدَةِ بِنَزْعَةٍ كَوْنِيَّةٍ مُسْتَتِرَةٍ فِي ظِلِّهَا ثُمْسِي كُلِّ الثَّقَافَاتِ تَجَلِيَّاتٍ لِقُوَّةٍ وَاحِدَةٍ شَامِلَةٍ. بَيِّدَ أَنَّهُ لَمْ يَقْصِدْ مِنْ ذَلِكَ مِثَافِيزِيْقًا جَدِيدَةً، وَإِنَّمَا كَانَ مُرَامُهُ بِالْأُخْرَى مِنْهَا مُخْتَلَفًا فِي التَّطَرُّقِ إِلَى الثَّقَافَةِ يَتَنَاوَلُ صُورَهَا، لَا لِأَنَّهَا قَدْ تَتَطَابَقُ فِي جَوْهَرِهَا، بَلْ لِأَنَّهَا جَمِيعًا مِنْ اصْطِنَاعِ الْإِنْسَانِ.

يَتَبَيَّنُ لَنَا، بِنَاءً عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، أَنَّ مَا يَجْعَلُ الْمَشْرُوعَ الْكَاسِيرِرِيَّ امْتِدَادًا لِلْمَشْرُوعِ الْكَانَطِيِّ هُوَ اسْتِيعَابُهُ لِمَتَعَدِّدِ الْأَشْكَالِ الرَّمْزِيَّةِ ائْتِلَاقًا مِنْ وَحْدَةِ الْقُدْرَةِ التَّأَلِيفِيَّةِ الَّتِي تَرْتَدُّ إِلَيْهَا وَتَقُومُ عَلَيْهَا، يُعَرِّبُ كَاسِيرِرِ عَنْ هَذَا فِي مُحَاضَرَةٍ أَلْقَاهَا سَنَةَ 1936 بِعُنْوَانِ "الْمَثَالِيَّةُ النَّقْدِيَّةُ بِاعْتِبَارِهَا فِلَسْفَةُ الثَّقَافَةِ": "لَا تَتَعَلَّقُ مُشْكَلَةُ كَانَطٍ بِالْبَحْثِ التَّحْقِيقِيِّ عَنِ الْأَشْكَالِ الْخَاصَّةِ لِلْفِكْرِ الْمُنْطَقِيِّ أَوْ الْعِلْمِيِّ أَوْ الْأَخْلَاقِيِّ أَوْ الْجَمَالِيِّ. مِنْ دُونِ تَغْيِيرِ طَبِيعَتِهَا، يُمَكِّنُنَا تَطْبِيقُهَا عَلَى جَمِيعِ أَشْكَالِ الْفِكْرِ وَالْحُكْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْفَهْمِ، حَتَّى عَلَى الشُّعُورِ، الَّتِي يُحَاوِلُ الْعَقْلُ الْبَشَرِيُّ خِلَالَهَا تَصَوُّرَ الْكَوْنِ بِاعْتِبَارِهِ كَلًّا. تَهْدَفُ الْأَسْطُورَةُ وَالِدِّينُ وَاللُّغَةُ وَالْفَنُّ وَالْعُلُومُ إِلَى إِعْطَاءِ مِثْلِ هَذِهِ اللَّمَحَةِ عَنِ الْكَوْنِ، وَمِثْلَ هَذِهِ الرُّؤْيَا التَّرْكِيبِيَّةِ. لَا يُمَكِّنُ وَصْفُ أَيِّ مِنْ هَذِهِ الْأَشْكَالِ عَلَى أَنَّهَا نُسْخَةٌ بَسِيطَةٌ مِمَّا تُعْطِيهِ مُعْطِيَّاتُ الْحَوَاسِ. كُلُّ هَذِهِ الْأَشْكَالِ لَا تَشِيعُ فَقَطْ بِالضَّوْءِ الْمُنْعَكِسِ؛ إِذْ لَدَيْهَا نُورُهَا

الخاصّ. إنّها مصادِرُ أصليّة للضوء. إذا فهمنا المشكلة بهذا المعنى، يَتَّضِحُ أنَّ جَمِيعَ الأنظمة المتنوّعة والمعقّدة للرّموز الواردة في اللّغة والفنّ والعلوم والفكر الأسطوريّ والدينيّ، ليست متّاحةً للتّحليل الفلسفيّ فحسب، وإنّما تتطلّب مثل هذا التّحليل. يجب فهمها وشرحها ليس فقط على أنّها عباراتٌ فريدة للعقل البشريّ تميل إلى اتجاهاتٍ متعدّدة ومُتباينة، وهي، إذا جاز التّعبير، مُنْتَشِرة في مجال حياتنا العقلية، بل إنّها تحوّر، على الرّغم من فروقها، على وحدةٍ جَوانِيةٍ [...] ليس من المقدور أن تكون وحدة الفكر الرّمزيّ والتّمثّلات الرّمزيّة مُجرّدة من مظاهرها المختلفة. لا يُمكن تصوّرها على أنّها كيانٌ واحدٌ، قائم بذاته، مُنْعَزَل. إنّها شرطٌ لجميع العمليّات البناءة للروح، قوّة تتخلّل جميع عمليّاتنا وطاقاتنا العقلية؛ ولكن يجب ألا نقوم بأقنمة هذه القوّة، يجب ألا نتصوّرهما على أنّها وجودٌ ماديّ أو ميتافيزيقيّ مُنفصل" (Donald Phillip Verene, 1979, pp 70-71) ممّا يُشير إليه الشّاهد المورود من قريب، تمايز وظائف الرّموز في كلّ حقلٍ من حيث تصوّرها لجُملةٍ من الأشياء، منها المكان والزّمان والعدد، لذلك يأخذ كاسيرر على عاتقه بيان البنية الخاصّة التي يكتسبها، في كلّ شكلٍ رمزيّ، الزّمان، المكان، والعدد، بالإضافة إلى المقولات المنطقية التي تضطلع بدورٍ في تشكّل الموضوعات، ما يعني أن قوام المشروع الكاسيريّ استظهار الأنماط الخاصّة بالموضوعة *Modes*

spécifiques d'objectivation من حيث هي دلائل على السّلطان الذي يصطّلع به الروح عوالمه الرّمزيّة. هذا التّمايز بين مُنتجات الروح في كلّ حقلٍ رمزيّ يتجلّى مثلاً في البيئونة بين تصوّر المكان في الفكر

الأسطوريّ ذي الطابع الكيفيّ، غير المتجانس، والذي يجري النظرُ إليه والتعاملُ معه وفقاً لمقتضياتِ العاطفةِ والسّحرِ والمكانِ المثاليّ والبنائيّ الخالصِ للهندسةِ ذي الطابعِ الكميّ، المتجانسِ، المتصلِ، اللانهائيّ.

لا نُخطئُ شواكلَ السّدادِ لو حَسَبْنَا «فلسفةَ الأشكالِ الرَّمِيزِيَّةِ» محاولةً رائعةً لِتخطيِ الحدودِ الدوغمائيّةِ بَيْنَ التّخصّصاتِ الأكاديميّةِ بالكشفِ عَنِ الوَحْدَةِ التّأليفيّةِ التي تَشْتَرِكُ فيها، وَمِنْ ثَمَّ الوُقُوفُ عَلَى الخُيُوطِ الرابطةِ المُمكنَةِ بَيْنَ مَا أَطْلَقَ عَلَيْهِ سَنُو C.P. Snow اسمَ "الثّقافتَيْنِ": العلومِ البحتةِ (Naturwissenschaften) والعلومِ الإنسانيّةِ (Geisteswissenschaften)، بِفَضْلِ تَأْسِيسِهِ لِلثّقَافَةِ والمعرفةِ والمعنى عَلَى المبدَأِ المحدّدِ للطابعِ "البنائيّ"، تَجَنُّباً لِلوقوعِ فِي هاويةِ التّشظيِ والتّيهِ اللّذَيْنِ تَخْبِطُ فِيهِمَا العَديدُ مِنْ تياراتِ مَا بَعْدَ البُنيويّةِ.

تَخْلَعُ الرُّوحُ عَلَى الأشياءِ بِتَوَسُّلِ الرُّمُوزِ مَعَانٍ جَدِيدَةٍ، مَا كَانَ لَهَا أَنْ تَحْصُلَ عَلَيْهَا، لَوْ كَانَ مُجَرَّدَ نَاسِخٍ لَهَا وَتَعْبِيرٍ سَلْبِيٍّ عَنْهَا. وَمَهْمَا تَعَدَّدَتْ وَتَبَايَنَتْ سُبُلُ الإِفْصَاحِ عَنِ العَالَمِ فِي الفَنِّ وَالْأَسْطُورَةِ وَالدِّينِ وَالْعِلْمِ، فَإِنَّ أَصْلَهَا المُنتَجَ وَاحِدٌ. وَعَلَى الأنظَارِ الفِلَسَفيّةِ أَنْ تَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ، لَا سِيَّما أَنَّ الوَحْدَةَ الرَّمِيزِيَّةَ تَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ فِي شِعَابِ الرَّمِيزِيَّاتِ المتعدّدةِ، وَإِذْ هِيَ تَفْعَلُ ذَلِكَ عَلَيْهَا أَلَّا تَتَطَرَّقَ إِلَى أَيِّ شَكْلِ رَمَازِيٍّ (عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ الأسْطُورَةِ) مِنْ طَرِيقِ شَكْلِ رَمَازِيٍّ مُخْتَلِفٍ (عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ العِلْمِ). وَبِمُقْتَضَى ذَلِكَ حَرِيٌّ بِهَا أَنْ تَتَجَنَّبَ عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ مُقَارِبَةَ الفَنِّ بَعْدَسَةِ عِلْمِيَّةٍ وَالْعَكْسُ بِالْعَكْسِ أَوْ أَنْ تَخْتَزِلَ الأشْكَالَ الَّتِي يَبْتَدِعُهَا الإنسانُ لِمَعْرِفَةِ نَفْسِهِ وَالْعَالَمِ فِي إِحْدَاهَا؛ هُوَ ذَا مَا يُلْحِقُ عَلَيْهِ هَذَا المورِدُ

الذي يُفَصِّحُ فِيهِ كاسيرر قائلًا: "كُلُّ وَظِيفَةٍ أَصِيلَةٍ لِلرُّوحِ تَشْتَرِكُ مَعَ المَعْرِفَةِ فِي [اشْتِمَالِهَا عَلَى] الْخَاصِيَّةِ الْحَاسِمَةِ الْمُتَمَثِّلَةِ فِي كَوْنِهَا مَسْكُونَةً بِقُوَّةٍ تَكُونِيَّةٍ عَلَى نَحْوِ أَصِيلٍ وَلَيْسَتْ مُجَرَّدَ قُوَّةٍ تَوَلِيدِيَّةٍ. بَعِيدًا عَنْ حَصَرِهَا فِي التَّعْبِيرِ السَّلْبِيِّ عَمَّا هُوَ مُعْطَى، فَإِنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْوِظِيفَةِ تَمْنَحُهَا، بِحُكْمِ اسْتِقْلَالِيَّةِ طَاقَةِ الرُّوحِ الْمَوْجُودَةِ فِيهَا، "مَعْنَى" مُعَيَّنًا، مُحتَوًى مِثَالِيًا مُعَيَّنًا. هَذَا يَنْطَبِقُ عَلَى الْفَنِّ مِثْلَمَا يَنْطَبِقُ عَلَى المَعْرِفَةِ وَالْأَسْطُورَةِ وَالِدِّينِ. تَعِيشُ جَمِيعُ [الْوِظَائِفِ الْفِكْرِيَّةِ] فِي عَوَالِمٍ مِنْ صُورٍ مُعَيَّنَةٍ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ انْعِكَاسٍ لِلْمُعْطِيَّاتِ التَّجْرِبِيَّةِ، وَلَكِنَّهَا تَنْتُجُ عَلَى عَكْسِ ذَلِكَ وَفَقًا لِمَبْدَأٍ أَصْلِيٍّ. وَمِنْ ثَمَّ، فَإِنَّ كُلًّا مِنْهَا يُولَدُ تَكُونِيَّاتِهِ الرُّمُوزِيَّةَ الْخَاصَّةَ الَّتِي، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ اخْتِلَافِهَا عَنْ رُموزِ الْعَقْلِ، لَا تَخْضَعُ لَهَا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِقِيَمَةِ أَصْلِهَا الْمَعْقُولِ. لَا يُمَكِّنُ اسْتِنْتَاجُ أَيٍّ مِنْ هَذِهِ التَّكُونِيَّاتِ مِنَ الْآخَرَى أَوْ اخْتِرَالُ بَعْضِهَا بَعْضًا بِطَرِيقَةٍ خَالِصَةٍ وَبَسِيطَةٍ: كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا يُعَيِّنُ طَرِيقَةً فِكْرِيَّةً مُعَيَّنَةً لِلْفَهْمِ وَيُشَكِّلُ، دَاخِلَ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ وَبِوَسَاطَتِهَا، جَانِبًا مُحَدَّدًا مِنَ "الْوَاقِعِ". لِذَلِكَ فَهِيَ لَيْسَتْ الطَّرِيقَ الْمُخْتَلِفَةَ الَّتِي يَكْشِفُ بِهَا وَاقِعٌ مَا فِي ذَاتِهِ *réel-en-soi* عَنْ نَفْسِهِ لِلرُّوحِ، وَلَكِنَّهَا الطَّرِيقَ الْمُخْتَلِفَةَ الَّتِي يَتَّبِعُهَا الرُّوحُ فِي عَمَلِيَّةِ تَمْوُضِعِهِ، أَيَّ فِي كَشْفِ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ. إِذَا نَظَرْنَا إِلَى الْفَنِّ وَالْأَسْطُورَةِ وَالْمَعْرِفَةِ بِهَذَا الْمَعْنَى، فَإِنَّهَا تُؤَدِّي عَلَى الْفَوْرِ إِلَى مُشْكَلَةٍ مُشْتَرَكَةٍ تَفْتَحُ مَنَفَذًا جَدِيدًا إِلَى فِلَسَفَةٍ عَامَّةٍ لِعُلُومِ الرُّوحِ" (Cassirer, 1972, I, pp.18-19).

لَقَدْ حَادَ الرُّوحُ الْكَانَطِيُّ فِلَسَفَةَ كَاسِيرِرِ عَلَى الْإِنْتِقَالِ مِنْ نَقْدِ الْعَقْلِ إِلَى نَقْدِ الثَّقَافَةِ، وَمِنْ ثَمَّ التَّحَوُّلُ مِنْ اسْتِظْهَارِ الْحَدُوسِ

والنّصوّرات القبليّة لفاعليّة العقل التي تجعل المعرفة مُمكنةً إلى استجلاء التّكوينات التي تصوغها الرّوح، بيّنا تتّصل بما حوالها من موادّ العالم. ما يجمع المشروع الكائنيّ والمشروع الكاسيريّ هو النّظر إلى المُعطيات المحسوسة من زاوية تمّوضعات الرّوح وليس العكس. فلو كان العالم موجوداً بشكلٍ مُستقلّ عنّا من ناحية الأونطولوجيا، فإنّه في حقيقته الأنثروبولوجيّة الشّكل الذي يُعطيه الرّوح له. ومفهوم التّموضع هو الذي يُصير الثّقافة مُمكنةً، فلولاه لن يقدّر العقل على تحويل الطّبيعة، ومن دونه سيّعدّر أيضاً فهم الدّات. وفوق ذلك، بفضلّه يتزامن تشكّل العالم مع تشكّل الدّات. يتّضح، قياساً إلى ما ذُكر من قريب، أنّه في كلّ من وظائف الفكر اللّغويّ والفكر الأسطوريّ -الدينيّ والحدس الفنيّ يتحقّق تشكّل مُعيّن، هو تحويل بالشّكّل للأشياء إلى عالم *configuration en monde* أكثر من كونه تشكيلاً للعالم *configuration du monde* ، باعتباره ترابطاً موضوعياً للمعنى *connexion objective* أو مجموعة موضوعيّة من الحدس (Cassirer, 1972, I, p.20).

لذلك، فلا متقدّم ولا متأخّر لفلسفة تبحّث في ما يجعل المعنى مُمكناً من تحليل نشاط الرّوح الذي يبني العالم بوساطة الأشكال الرّمزيّة التي حسبها كاسيرر "بناءات ضليعة" *constructions qualifiantes* للواقع، وبأفضال هذا "البناء الرّمزيّ" *construction symbolique* (Cassirer, 1972, III, p.515) يصطنع لنفسه في دهلير الأشياء معانٍ من دونها يرسّف في تيه من غير اهتداء، ويشرح كاسيرر ذلك بقوله: "ليس «العالم» إلا معارضة الفوضى بإنتاج بنية من المعنى،

وَلَيْسَ إِلَّا مَا يَجْرِي فَهْمُهُ بوساطةِ تَكْوِينِ كَيْنُونَتِهِ التَّشْكِيلِ. وَبِهَذَا
المَعْنَى، فَإِنَّ الأَمْرَ يَتَعَلَّقُ بِتَحْلِيلِ أَشْكَالِ النِّشَاطِ الإِنْتَاغِيِّ لِلرُّوحِ
وَتَوَجُّهَاتِهِ الأَسَاسِيَّةِ الَّتِي تَفْهَمُهُ [الضَّمِيرُ الْمُتَّصِلُ يَعُودُ عَلَى العَالَمِ]، مِنْ
حَيْثُ هِيَ قَاصِدَةٌ لِمُعْطَى، فِي "ترابطِ المعنى" "*connexion de sens*"،
باعتباره «عَالَمًا». بِعِبَارَةٍ أُخْرَى، فَإِنَّ تَفْسِيرَاتِ الأشْكَالِ الرَّمْزِيَّةِ
وَالْأَسْطُورَةِ وَالْفَنِّ وَاللُّغَةِ وَالْمَعْرِفَةِ تُؤَلَّفُ الكَثِيرَ مِنْ "أَكْوَانِ المعنى"
"*univers de sens*" (Cassirer, 1973, p.16).

لَا شَكَّ مِنْ أَنَّ المَعَانِي مِنْ هَذَا المَنْظُورِ تُعْبَرُ عَنْ تَوَجُّهَاتٍ مَقَاصِدِيَّةٍ
إِلَى الأَشْيَاءِ تَنْتَهِي بِخَلْقِ عَوَالِمٍ مُتَعَدِّدَةٍ بِتَنْوُعِ القُصُودِ المَتَوَجِّهَةِ إِلَيْهَا
وَالْمَشْكَلَةِ لَهَا. وَتَأْسِيسًا عَلَى ذَلِكَ، فَالْمَهْمُ أَتْنَاءَ فَحْصِ البِنَى الرَّمْزِيَّةِ
لَيْسَ العَالَمُ كَمَا هُوَ فِي ذَاتِهِ، وَإِنَّمَا الأَنْحَاءُ الَّتِي تَتْبَعُهَا العُقُولُ فِي
تَشْيِيدِهِ وَفَقْ طُرُقٍ مُحَدَّدَةٍ وَمُتَبَايِنَةٍ، وَهَذِهِ الأَنْحَاءُ فِي ابْتِدَاعِ المَعَانِي هِيَ
الْأَسَاسُ الَّذِي يَجِبُ الْبِنَاءُ عَلَيْهِ لِلْوُقُوفِ عَلَى مَا سَمَّاهُ كَاسِيرِرْ: المَبْدَأَ
المَكُونِ *principe configurant*، مُشِيرًا إِلَى ذَلِكَ بِهَذَا الشَّاهِدِ مِنَ الجُزْءِ
الرَّابِعِ مِنْ فِلَسَفَةِ الأشْكَالِ الرَّمْزِيَّةِ المَعْنُونِ بـ: مِيتافِيزِيْقَا الأشْكَالِ
الرَّمْزِيَّةِ: «عَلَى الدَّوَامِ لَيْسَ بِمَقْدُورِنَا إِلَّا مُوَاجَهَةُ كَلِيَّاتِ المَعْنَى
totalités de sens الَّتِي جَرَى تَشْكِيلُهَا لِكَي نُدْرِكَ، بِفَضْلِ هَذِهِ
المُوَاجَهَةِ، المِغْيَارَ الرُّوحِيَّ المَحْدَدَ الَّذِي يَحْكُمُ تَشْيِيدَهَا - وَلَكِنْ لَيْسَ
بِمُسْتَطَاعِنَا إِعَادَةُ تَوْجِيهِ المَبْدَأِ المَكُونِ، الَّذِي يَحْكُمُ هَذَا التَّشْيِيدَ،
إِلَى شَيْءٍ لَمْ يَقَعْ تَشْكِيلُهُ بَعْدُ، لَا يُمَكِّنُنَا تَرْكُهُ إِذَا جَارَ التَّعْبِيرُ
"يَتَطَوَّرُ" ائْتِلَاقًا مِنْ "مَادَّةٍ" لَمْ تَتَشَكَّلْ بَعْدُ" (Cassirer, 1995, p.37).

تَحْدُونَا شَوَاهِدُ كَثِيرَةٌ مِنْ نُصُوصِ كَاسِيرِرِ إِلَى عَدِّ إِرْجَاعِ كُلِّ
الْفَاعَلِيَّاتِ السَّاعِيَةِ لِتَحْوِيلِ عَالَمِ الانْطِبَاعِ السَّلْبِيِّ، الَّذِي مَا يَزَالُ فِيهِ

الرُّوحُ مُغْلَقًا وَسَجِينُ الْمُعْطِيَّاتِ الْمُحْسُوسَةِ، إِلَى عَالَمِ التَّعْبِيرِ الْخَالِصِ عَنِ
الرُّوحِ وَإِلَى وَحْدَةِ النُّقْطَةِ الْوُسْطَى الْمُشْتَرَكَةِ بِاعْتِبَارِهَا مَرْكَزًا مِثَالِيًّا
يُظْهِرُ وَحْدَةَ الرُّوحِ (Cassirer, 1972, I, p.58) إِجْرَاءً أَسَاسِيًّا لِفِلَسَفَتِهِ
(Cassirer, 1972, II, p.41) عَلَى أَنْ تُفْهَمَ هَذَا الْإِرْجَاعُ تَبَعًا لِلدِّينَامِيكََا
الَّتِي تَتَحَرَّكُ بِهَا فِلَسَفَةُ الْأَشْكَالِ الرَّمْزِيَّةِ الَّتِي سَاقَتْهُ إِلَى النَّظَرِ إِلَى
"الشَّكْلِ الرَّمْزِيِّ" لَا مِنْ حَيْثِيَّةٍ جَوْهَرِيَّةٍ، وَإِنَّمَا مِنْ حَيْثِيَّةٍ وَظَلِفِيَّةٍ، مَا
يَعْنِي تَتَاوُلُّ مُقَارِبَتِهِ لِلتَّقَافَةِ الْمَسَالِكِ وَالْأَتِّجَاهَاتِ الَّتِي يَسْلُكُهَا الرُّوحُ فِي
إِنتَاجِ الْمَعْنَى، لِذَلِكَ يَقُولُ: [...] لَيْسَتْ الْأَشْيَاءُ وَالْحَالَاتُ وَالْخَصَائِصُ
وَالْأَنْشِطَةُ مُعْطِيَّاتٍ فِي الْوَعْيِ، لَكِنَّهَا أَنْمَاطُ التَّشْكِيلِ وَاتِّجَاهَاتُهُ الَّتِي
يَعْمَلُ بِهَا" (Cassirer, E. 1972, I, pp.18-19). بِمُوجِبِ هَذَا النَّحْوِ فِي
التَّطَرُّقِ إِلَى الثَّقَافَةِ وَآلِيَّاتِ إِنتَاجِهَا، فَإِنَّ الْأَشْكَالَ الرَّمْزِيَّةَ، مِنْ حَيْثُ
هِيَ مَعَانٍ لَصِيْقَةٌ بِالْإِنْسَانِ، نَشَاطٌ أَصْلِيٌّ يَتَعَدَّرُ اسْتِثْقَاقَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ
آخَرَ غَيْرِ الرُّوحِ الْبَشَرِيِّ، مَا يُفِيدُ ارْتِفَاعَ وَجُودِ الْوَاقِعِ مُسَبِّقًا بِمَعْزَلٍ
عَنْهُ، بَلْ مِنْ طَرِيقِ شَكْلِ رَمْزِيٍّ يَحْصُلُ هَذَا الْوَاقِعُ عَلَى مَعْقُولِيَّتِهِ،
وَيَلْزَمُ عَنْ هَذَا النَّحْوِ فِي تَصَوُّرِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الْوَاقِعِ وَرُمُوزِهِ، أَلَّا يَكُونَ
الشَّكْلُ الرَّمْزِيُّ مُحَضَّ انْعِكَاسٍ لِوَاقِعٍ مُوجُودٍ بِطَرِيقَةٍ مُسْتَقْلَةٍ عَنْهُ،
وَإِنَّمَا هُوَ وَاقِعٌ مِنْ مُسْتَوَى أَعْلَى لَوْلَا وَسَاطَةُ الرَّمْزِ لَتَعَدَّرَ الْارْتِفَاعُ إِلَيْهِ"
(Cassirer, E. 1972, I, pp.18-19)

تَحْقِيقًا لِمَا وَرَدَ مِنْ قَرِيبٍ، مَا لَا يَنْبَغِي الْعُزُوبُ عَنْهُ فِي هَذَا
الْمَنَاقِلِ مِنَ التَّفَلُّسُفِ هُوَ الْبُعْدُ التَّعَدُّدِيُّ لِضَاعِلِيَّةِ الرُّوحِ التَّرْمِيزِيَّةِ الَّتِي
يُنَافِحُ كُلَّ مَنْزَعٍ اخْتِزَالِيٍّ يَشِيحُ بِإِظْهَارِهِ عَنْ غَيِّ الْعَالَمِ وَالْمَعَانِي الَّتِي
يَتَشَكَّلُ بِوَسَاطَتِهَا الْكَثِيرَةُ، إِذِ الرُّوحُ فِي مَسِيرَتِهِ التَّثْقِيفِيَّةِ لَا يَسْلُكُ
شَكْلًا وَلَا مَسْلُكًا وَاحِدًا، وَإِنَّمَا يُؤَلَّفُ مَعَانِيهِ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ وَيَتَرَقَّى مِنْ

أَدْنَى الْمَعْنَى تَجْرِيداً إِلَى أَعْلَاهَا أَسْيَلاً مِنَ الْحِسِّيَّةِ. طَبَقاً لِهَذَا الْمَنْظُورِ، نَهَضَ كَاسِيرِرْ عَلَى بِدْرَاسَةِ الرَّمْزِيَّةِ الْمُتَعَدِّدَةِ، كَمَا تَجَلَّتْ فِي اللُّغَةِ، وَالفِكْرِ الأسْطُورِيِّ الدِّينِيِّ، وَالْعِلْمِ؛ بِاعْتِبَارِهَا الْأَشْكَالَ الرَّئِيسَةَ لِلثَّقَافَةِ، ذَلِكَ مَا يَشِيفُ عَنْهُ هَذَا الشَّاهِدُ: "الْمُنْتَجَاتُ الْمُخْتَلِفَةُ لِلثَّقَافَةِ؛ اللُّغَةُ، وَالْمَعْرِفَةُ الْعِلْمِيَّةُ، وَالْأَسْطُورَةُ، وَالْفَنُّ، وَالدِّينُ؛ تُدْرَجُ بِهِذِهِ الطَّرِيقَةِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَنَوُّعِهَا الدَّاخِلِيِّ، فِي مُشْكَلَةٍ عَامَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَتَبْدُو كَأَنَّهَا مُحَاوَلَاتٌ عَدِيدَةٌ لِتَحْوِيلِ عَالَمِ الْإِنْطِبَاعِ السَّلْبِيِّ الْبَسِيطِ، حَيْثُ الرُّوحُ يَبْدُو دَائِماً مُغْلَقاً، إِلَى عَالَمٍ مِنَ التَّبْعِيْرِ الْخَالِصِ عَنِ الرُّوحِ" (Cassirer, 1972, I, p.20).

لَا تُنْتِجُ الرُّمُوزُ مِنَ الْعَدَمِ وَلَيْسَتْ نَتِيجَةً لِنَشَاطِ الْقَبْلِيَّاتِ الْمُحْضِ لِلْعَقْلِ؛ وَإِنَّمَا هِيَ صَنِيعُ عِلَاقَةِ النِّشَاطِ الْقَبْلِيِّ بِالْمَعْطَى الْبَعْدِيِّ، لِذَلِكَ تُفْرَجُ عَنْ وَحْدَةٍ جَامِعَةٍ سَابِقَةٍ بَيْنَ عُنْصُرٍ مُحْسُوسٍ *élément sensible* وَعُنْصُرٍ رُوحَانِيٍّ أَوْ فِكْرِيٍّ. لَقَدْ قَيَّضَ كَاسِيرِرْ لِهَذِهِ الْوَحْدَةِ مُصْطَلَحاً يُتَرَجَّمُهُ بِـ "الْحَبْلُ الرَّمْزِيُّ" أَوْ "التَّكْنُفُ الرَّمْزِيُّ" *prégnance symbolique* الَّذِي يُشِيرُ إِلَى سَطْوَةِ الْقُدْرَةِ الرُّوحِيَّةِ وَقُوَّتِهَا الْبَارِزَةِ عَلَى فَرَضِ نِظَامٍ مَا عَلَى الْمُحْسُوسِ بِصُورَةٍ مُسَبِّقَةٍ، بِقَدْرِ مَا يُحِيلُ أَيْضاً إِلَى السُّوقِ الَّذِي يُسَاقُ إِلَيْهِ الرُّوحُ إِلَى إِنْتَاجِ الْمُعْقُولِيَّةِ فِي اتِّصَالِهِ الْأَصْلِيِّ بِالْمَعْطِيَّاتِ التَّجْرِبِيَّةِ. وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَصُوغَ هَذَا فِي تَبْعِيرٍ آخَرَ قُلْنَا إِنَّهُ يُشِيرُ إِلَى كَوْنِ الرُّمُوزِ حُبْلَى بِتَوْلِيدِ الْمَعَارِفِ وَالْمَعْنَى كُلِّمَا اقْتَرَنْتِ الطَّاقَةُ الرُّوحِيَّةُ بِمَوَادِّ الْعَالَمِ وَمِنْ ثَمَّةَ لَا حَدِيثَ عَنِ «الْحَبْلِ الرَّمْزِيِّ» إِلَّا بِالنَّحْوِ الْمَأْخُوذِ بِالْمَعْنَى الْأَصْلِيِّ، بِمَا هُوَ تَشَابُكٌ مُتَمَاسِكٌ الْعُرَى بَيْنَ الْمُعْقُولِ وَالْمُحْسُوسِ (Cassirer, E.1972, III, p. 217-231). وَبِمُقْتَضَى ذَلِكَ

لا كَلَامَ عَنِ الْأَشْكَالِ الرَّمْزِيَّةِ مِنْ غَيْرِ "رَكِيزَةِ حَسِيَّةٍ" *substrat sensible* وَلِإِبْرَازِ ذَلِكَ أَعْرَبَ كَاسِيرِرْ قَائِلًا: "هَذَا الظُّهُورُ لـ "مَعْنَى" مَا وَالَّذِي لَا يَتَمَيَّزُ مِمَّا هُوَ مَادِيٌّ، لَكِنَّهُ يَتَجَسَّدُ بِذَاتِهِ وَفِي ذَاتِهِ *pris corps par lui et en lui*، هُوَ الْعَامِلُ الْمَشْتَرِكُ لِكُلِّ مُحْتَوَى نَسْمِيهِ ثَقَافَةً".
(Cassirer, 1991, p.123).

لَقَدْ ظَهَرَ مَفْهُومُ الْحَبْلِ الرَّمْزِيِّ *Symbolische Prägnanz* الْمُسْتَوْحَى مِنْ عِلْمِ النَّفْسِ الْجَسْتَالْتِ (Thoran Ilin Bayer, 2001, p. 260; Jeffrey Andrew Barash, 2008, p. 98) أَوَّلَ مَرَّةٍ فِي الْمَجْلَدِ الثَّلَاثِ مِنْ مُصَنَّفِ "فِلَسَفَةِ الْأَشْكَالِ الرَّمْزِيَّةِ" وَأَخَذَ اسْتِخْدَامُهُ يُنْدِرُ حَتَّى اخْتَفَى نِهَائِيًّا فِي مُصَنَّفِهِ "مَقَالٌ فِي الْإِنْسَانِ"، وَهُوَ كَمَا بَيَّنَّا مِنْ قَرِيبٍ يَضْطَلَعُ بِدَوْرٍ فِينُومِينُولُوجِيٍّ مَعْرِفِيٍّ غَايَتُهُ تَخْطِي الْمَثْوِيَّةَ الْفِلَسَافِيَّةَ، لِذَلِكَ يَجْدُرُ أَنْ نَقْصِدَ هَذَا الْمُصْطَلَحَ فِي سِيَاقِ نَظَرِيَّةِ الْوُظَيْفَةِ الرَّمْزِيَّةِ الْمُسْتَوْحَاةِ مِنْ هَيْجَلْ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى الصَّلَةِ الْأَصْلِيَّةِ لِلْهُوِيَّةِ فِي الْاِخْتِلَافِ الْمُؤَلَّفَةِ بَيْنَ الصُّورَةِ وَالْمَادَّةِ، بَيْنَ الْمَعْنَى وَالْحِسِّ، بَيْنَ الْقَانُونِ الْكُلِّيِّ وَمَا هُوَ خَاصٌّ، بَيْنَ مَجْمُوعٍ تَنْظِيمِيٍّ مُوَحَّدٍ (*Gliederung*) وَالْجُزْءِ الْفَرْدِيِّ الْمُنْظَمِ (*partie individuelle organisée* (Glieb)).

عِلَاوَةً عَلَى هَذَا كُلِّهِ، فَهُوَ الصِّلَةُ الْكُلِّيَّةُ الْمَوْلَدَةُ بَدْءًا مِنْ نَفْسِهَا لِكُلِّ مُنْظَمٍ أَكَانَ ذَلِكَ صَنِيعَ الْجَمَاعَةِ أَمْ الرِّيَاضِيَّاتِ أَمْ الْفِلَسَفَةِ؛ لِذَلِكَ هُوَ عَلَى شَاكِلَةِ الْخُطَاطَةِ لَدَى كَانِطٍ أَوْ الْكُلِّيِّ الْعَيْنِيِّ لَدَى هَيْجَلْ. لَقَدْ كَانَ دَابُّ كَاسِيرِرْ أَنْ يُعَبِّرَ عَنِ فَحْوَى هَذَا الْمَفْهُومِ بِجُمْلٍ مُتَوَّعَةٍ مِنْهَا قَوْلُهُ: "يَجِبُ فَهْمُ مِنْ هَذَا الطَّرِيقَةِ الَّتِي بِهَا يَحْتَوِي مَضْمُونُ الْإِدْرَاكِ، بِاعْتِبَارِهِ تَجْرِبَةً مَحْسُوسَةً، فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ، عَلَى مَعْنَى مُعَيَّنٍ غَيْرِ حَدْسِيٍّ يَقْتَادُهُ إِلَى تَمَثُّلٍ فَوْرِيٍّ وَعَيْنِيٍّ". (Cassirer, 1972, III, p. 229).

بموجب هذا التبيين لمفهوم الحبل الرمزي، فالإنسان لا يتلقى
بتأثراً عالمياً عارياً، ذلك أن الكليات القبلية لا تشرع في عملها على
أعقاب الانعطاف العاري للأشياء، بل منذ البداية تصوغ أشكالها بطريقة
الحدس المقولي الذي لطالما حدثنا عنه هوسرل، هذا ما يشف عنه
هذا الشاهد: "لا نلتقي أبداً بالإحساس "العاري" كمادة عارية تُضاف
إليها فيما بعد هبة الشكل أياً كانت؛ وحده تحديد ملموس وتعددية
الأشكال الحية لعالمٍ مدركٍ تحكمه وتتخلله أساليب التكوين من
طرف إلى آخر يكون في المتناول" (Cassirer, 1972, III, p.27)

من العُدول عن مقاصد كاسيرر فهم هذه الوحدة بين المفعول
والمحسوس فهما تجريبيان على نحو يجعلها نتيجةً لربطٍ بعديٍّ بين
عنصرين كانا في الأصل منفصلين، ذلك أن كاسيرر يفهم الوحدة بين
الثنائيات الميتافيزيقية (الجزئي / الكلي، المحسوس / المفعول، الصورة
/ المادة) على أنها سابقة عليها وأطراف هذه الثنائيات مُعطاة سلفاً في
علاقتها الموحدة. مفاد ذلك أن معنى [Sinn] *sens* كل الأحكام
الموضوعية مردود إلى العلاقة الأصلية العليا [Urverhältnis] المعبر عنها
بصيغ متباينة على أنها علاقة [Verhältnis] موحدة للصورة "forme"
والشكل "contenu" وللكلي "universel" والفردي "individuel" وللصحة
"validité" والكيونية "être" والتي لا يمكن تحديدها إلا بالعناصر
المتعارضة [gegensätzlichen Momente] التي تسهم فيها دون أن تكون
هذه العلاقة الموحدة مشيدة بها، كما لو أن هذه العناصر أجزاء متاحة
لوجودٍ متسقٍ.

لِذَلِكَ فَأَطْرَافُ الثَّنَائِيَّاتِ لَيْسَتْ مُتَقَابِلَةً مُتَجَاوِرَةً جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ،
كَأَن نَقُولَ إِنَّ الْكُلِّيَّ مَوْجُودٌ بِإِزَاءِ الْفَرْدِيِّ، وَإِنَّ الصُّورَةَ مَوْجُودَةٌ قِبَالَ
المَادَّةِ وَمُنْفَصِلَةٌ عَنْهَا، ثُمَّ يَأْتِي تَرْكِيْبٌ عَقْلِيٌّ مَا عَلَى أَعْقَابِ ذَلِكَ
لِيُوجِدَهُمَا، بَلِ الْحَقُّ أَنْ يُقَالَ إِنَّ وَحْدَةَ التَّعْيِينِ الْمُتَبَادِلِ تُعَدُّ، عَلَى الضِّدِّ
مِنْ ذَلِكَ، الْمَعْطَى الْبَدَنِيِّ الَّذِي لَا يُمَكِّنُ أَنْ نَذْهَبَ أَبْعَدَ مِنْهُ، بِقَدْرِ مَا
نَعَجْزُ أَيْضًا عَنْ فَكِّ أَوْ فَصْمِ [zerlegen] هَذِهِ الثَّنَائِيَّةِ لِتَصِيرَ ثَنَائِيَّةً
وَجْهَتَي النَّظَرِ "view-points"، اللَّهُمَّ أَنْ يَحْصَلَ ذَلِكَ مِنْ طَرِيقِ عَمَلِيَّةِ
التَّجْرِيدِ الْمُصْطَنَعَةِ الَّتِي تَفْصِلُ مَا هُوَ فِي الْأَصْلِ مُتَلَاخِمْ مَبْدَئِيًّا، وَهُوَ
مَا تَفْعَلُهُ نَظَرِيَّاتُ الْمَعْرِفَةِ الْمِيتَافِيزِيْقِيَّةِ الَّتِي لَا تَبْرَحُ تَوَوَّلُ ثَنَائِيَّةَ اللَّحْظَاتِ
[Momente] عَلَى أَنَّهَا ثَنَائِيَّةٌ لِلْعَنَاصِرِ [Elemente] (Cassirer, 2021, I, introduction, p. xxxii)

لَنْ يَكُونَ غَرِيبًا، تَأْسِيسًا عَلَى هَذِهِ الْوَحْدَةِ السَّابِقَةِ، أَنْ تُعَدَّ
التَّجَارِبُ الْحِسِّيَّةُ الْعَيْنِيَّةُ مُنْطَوِيَّةً عَلَى مَعَانٍ غَيْرِ حَدْسِيَّةٍ مُحَايِثَةٍ لَهَا،
وَتَسَوِّقُهَا إِلَى أَنْ تُتَمَثَّلَ تَمَثُّلًا عَيْنِيًّا مُبَاشِرًا. (Cassirer, 2021, III, p.205)
يُفْرِجُ هَذَا التَّخْرِيجُ الْكَاسِيرِرِيُّ عَنْ حَلٍّ جَدِيدٍ لِمَشْكَالَةِ الْإِتِّصَالِ بَيْنَ
المَفْهُومِ وَالْمَحْبُورِ وَمِنْ ثَمَّةَ لِمَشْكَالَةِ الْمَعْرِفَةِ، بِذَهَابِهِ فِيهَا وَرَاءَ الْمَنْزَعِ
العَقْلَانِيِّ وَالتَّجْرِبِيِّ الَّذِي يَفْصِلُ الْمَعْنَى بِمَا هُوَ فِكْرٌ عَنِ الْوُجُودِ، مَا
يُوقَعُهُ فِي تَقَايُضٍ مُتَعَدِّدَةٍ عَلَى التَّجَاوُزِ، وَبِالِاسْتِعَاذَةِ عَنْهُ بِمَفْهُومِ الْحَبْلِ
الرَّمْزِيِّ الَّذِي هُوَ تَعْبِيرٌ عَنِ الْعِلَاقَةِ الْأَصْلِيَّةِ الْمُسَبَّقَةِ بَيْنَ الْمُتَوَاتِرَاتِ
المِيتَافِيزِيْقِيَّةِ، لَا سِيَّمَا بَيْنَ الْمَعْقُولِ وَالْمَحْسُوسِ، بَيْنَ الصُّورَةِ وَالْمَادَّةِ.
وَوُظِيفَةُ هَذَا الْمَفْهُومِ بَيَانُ التَّعْيِينِ وَالتَّشْكِيلِ السَّابِقِ اللَّذِينَ تُجْرِيهِمَا
الأشْكَالُ الرَّمْزِيَّةُ فِي الْمَعِيشِ الْمَحْسُوسِ، مَا يَعْنِي أَنَّ هَذَا الْأَخِيرَ لَا
يُعْطَى إِلَّا مُعَيَّنًا وَمَشْكَالًا بِنَحْوِ قَبْلِيٍّ، أَيْ تَبَعًا لَوْحْدَةٍ عِلَاقِيَّةٍ وَأَصْلِيَّةٍ،

بقدر ما يُفِيدُ أيضًا أَنَّ المادّةَ المحسوسةَ بما هيَ هيولى [hylé] والأفعالِ القاصِدةَ المشكّلةَ للوعيِ بما هيَ صورةٌ [morphé]، على الرُّغمِ مِنْ تَمَايُزِهِمَا النَّاتِجِ مِنَ التَّجْرِيدِ، غيرَ مُنْفَصِلِينَ فِي الظَّاهِرَةِ، ذَلِكَ أَنَّ الإحساسَ وَحَامِلَ المَعْنَى الفِينُومِينُولوجيَّ الخالِصَ يَمَثَلَانِ مَعًا مِنْ حَيْثِيَّةٍ وَحَدَّتَهُمَا المَسْبَقَةُ، مَا يَنْفِي قُدْرَةَ الفَصْلِ التَّامِّ بَيْنَ المحسوسِ بِصِفَتِهِ مادَّةً أُولِيَّةً عَارِيَّةً لِلإحساسِ والنَّسيجِ المُعَقَّدِ لِمَعْنَى. (Cassirer, 2013, p. 260)

بمفهومِ الحبلِ الرّمزيّ لَمْ يَفْعَلْ كاسيررُ فِي الحَقِيقَةِ سِوَى إِحْلَالِ وَحْدَةِ المَعْنَى *sens* والحَسَاسِيَّةِ *sensibilité* مَحَلَّ الوَحْدَةِ الكَانِطِيَّةِ لِلْمَفْهُومِ وَالْحَدْسِ، دُونَ أَنْ يُعَيِّرَ شَيْئًا مِنْ هَذَا الرُّوحِ الكَانِطِيِّ، مُوَاصِلًا بَيَانَ وَحْدَةِ التَّجْرِيبَةِ الإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي تَتَأَسَّسُ عَلَى اتِّصَالٍ أَسَاسِيٍّ بَيْنَ المَعْقُولِ وَالْمَحْسُوسِ اتِّصَالًا يُضِيءُ المَنْزِلَةَ الرَّفِيعَةَ لِلرُّوحِ، مِنْ حَيْثُ هُوَ قُدْرَةٌ عَلَى التَّوْلِيْفِ الخَلَاقِ، لِذَلِكَ نَرَاهُ لَا يَنِي الحَدِيثَ عَنِ الشَّكْلِ الرّمزيّ بِالِإِحَالَةِ إِلَى هَذِهِ الوَحْدَةِ المَذْكُورَةِ مِنْ قَرِيبٍ، إِذْ يَقُولُ: "بِالشَّكْلِ الرّمزيّ" يَجِبُ أَنْ نَفْهَمَ مِنْهُ طَاقَةَ الرُّوحِ الَّتِي يَحْصُلُ بِفَضْلِهَا رِبْطٌ مُحتَوًى مِنْ مَعْنَى مَعْقُولٍ بِعَلَامَةٍ مَحْسُوسَةٍ عَيْنِيَّةٍ وَتَكْيِيفُهُ جَوْهَرِيًّا مَعَ هَذِهِ العَلَامَةِ" (Cassirer, 1997, p.13).

فَعَلَى غِرَارِ كَانِطِ الذِّي سَعَى إِلَى فَحْصِ "القَوَاعِدِ المَتَعَالِيَّةِ" لِلْعَقْلِ (Kant, 1993, p.192)، جَدَّ كاسيررُ أَيْضًا فِي النِّظَرِ إِلَى "قَوَاعِدِ" الأشْكَالِ الرّمزيَّةِ (Cassirer, 1988, p.12) وَبِفَضْلِهَا انْزَاحَ اللِّثَامِ عَنْ فَاعِلِيَّةٍ وَهَبِ المَعْنَى (*Sinngebung*) *donation de sens* الَّتِي تُحوِّلُ العَالَمَ مِنَ الوجودِ العُفْلِ إِلَى الوجودِ الثَّقَائِفِ الإِنْسَانِي. وَيَعُدُّ تَسْلِيْطُ الفِكْرِ عَلَى قُدْرَةِ العُنْيِ الَّتِي يَنْفَرِدُ بِهَا الإِنْسَانُ "تَوْرَةً كُوبَرْنِيكِيَّةً" يَكْفُ فِيهَا

النَّظَرُ عَنْ تَقْدِيرِ "مُحْتَوَى أَشْكَالِ الرُّوحِ وَمَعْنَاهَا" أَشْيَاءَ تَنْعَكِسُ فِيهَا
بِطَرِيقَةٍ مُبَاشِرَةٍ، وَتَسْتَعْيِضُ عَنْ ذَلِكَ بِفَهْمِ مُحتَوِيَاتِ الثَّقَافَةِ، بِصِفَتِهَا
أَشْكَالًا رَمْزِيَّةً، عَلَى هَدْيِ قَانُونِ تَكْوِينِهَا وَإِنْتَاكِهَا وَتَشْكِيلِهَا
(Cassirer, 1972, II, p.49).

لِذَلِكَ تَسْتَهْدِفُ فِلَسَفَةُ كَاسِيرِرْ بِنَاءَ قَوَاعِدَ مَنَهْجِيَّةٍ تَنَحَكَّمُ فِي
الْمَتَعَدِّدِ الرَّمْزِيِّ، وَهُوَ مَا يُفْصِحُ عَنْهُ هَذَا الشَّاهِدُ: "إِذَا تَمَكَّنَ المرءُ مِنْ
التَّوَصُّلِ إِلَى رُؤْيَا نَسَقِيَّةٍ لِلتَّجَاهَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ لِهَذَا النَّمَطِ مِنَ التَّعْبِيرِ،
وَكَتِشَافِ سِمَاتِهِ النَّمُوذَجِيَّةِ وَالْمَشْتَرَكَةِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى التَّدْرِجَاتِ
الْخَاصَّةِ وَالْإِخْتِلَافَاتِ الدَّاخِلِيَّةِ، فَإِنَّ المَثَلَ الأَعْلَى لِـ "الْخَاصِيَّةِ الكُونِيَّةِ"
كَمَا صَاغَهَا لِيْبِنْتِزَ لِلْمَعْرِفَةِ سَوْفَ يَتَحَقَّقُ بَعْدَ ذَلِكَ لِمَجْمُوعِ الخَلْقِ
الرُّوحِيِّ. سَمَتْلَكَ حِينَهَا نَوْعًا مِنْ قَوَاعِدِ الوُظُفِيَّةِ الرَّمْزِيَّةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ
كَذَلِكَ، وَالتِّي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَتَبَنَّى وَتُحَدِّدَ بِطَرِيقَةٍ عَامَّةٍ جَمِيعَ التَّعْبِيرَاتِ
وَالصِّيَاغَاتِ الْخَاصَّةِ، كَمَا نَلْتَقِي بِهَا فِي اللُّغَةِ وَالفنِّ، فِي الأَسْطُورَةِ
وَالدِّينِ" (Cassirer, 1972, I, p.28).

لَا نَعُدُّ الصَّوَابَ فِي رَأْيِنَا إِذَا مَا قُلْنَا إِنَّ فِلَسَفَةَ الأَشْكَالِ
الرَّمْزِيَّةِ، بِنَاءً عَلَى تَخْرِيجِ تَارِيخِيٍّ، تَكْتَسِي طَابَعًا أَرْسَاطِيًّا يَجْعَلُ
الرُّمُوزَ لَا تَتَنَفَّكُ تَتَنَقَّلُ بِصُورَةٍ اسْتِقْرَائِيَّةٍ وَعَلَى نَحْوِ تَطَوُّرِيٍّ مِنَ الْجُزْئِيِّ
المَحْسُوسِ إِلَى الكُلِّيِّ المَجْرَدِ المَعْقُولِ، لِذَلِكَ تَزْدَادُ عُمُومِيَّةُ الأَشْكَالِ،
كَلَّمَا تَطَوَّرَتْ مِنَ الأَسْطُورَةِ إِلَى العِلْمِ حَتَّى تَبْلُغَ ذُرُوتَهَا الصُّورِيَّةَ فِي
الْمِيتَافِيزِيْقَا (Cassirer, 1972, I, p. 258).

3 - دِينَامِيكَا الرَّمْزِيَّةِ بَيْنَ دَرَجَاتِ الرَّمْزِ وَمَنَاطِقِ المَعْنَى:

مِنْ الجَدِيرِ إِيرَادُ تَبَايُنِ الأَشْكَالِ الرَّمْزِيَّةِ فِي تَقْيِيزِ الكُلِّيَّاتِ
لِلْمُعْطِيَّاتِ التِّي لَا تَتَوَقَّفُ عَنِ الأَصْطِدَامِ بِهَا، إِذْ يَسْلُكُ الرُّوحُ الْإِنْسَانِيُّ

مسالك متعددة أثناء الاستجابة للطباعات الحسية، ولما يُفصح الفكر عن ذلك إلا بتوسُّل تُوليفاتٍ مُتغيرةٍ من حيث القدرة على ترميز الخبرة في صورٍ مجردةٍ تتعالى عن مباشرة الآن والها، وتتعتق من الدوبان في مُعطيات العالم. وبموجب ذلك، نلفي أنماط الترميز تترقى من أدنى أشكال الإفصاح تعالياً إلى أعلاها تسامياً، إذ نلفي في البداية ما يُسميه كاسيرري بالانطباع أو التعبير *Ausdruck* الذي يُشير إلى المستوى الأول من التوليف الرمزي، باعتباره تعبيراً *Expression*، حيث الإنسانية تُعد، في عرض مرحلتها هاته، كل انطباع قبل كل شيء تعبيراً. يشرح كاسيرر ذلك في دراسته المعنونة بـ "إدراك الأشياء وإدراك التعبير"، مُظهِراً أن الإنسانية في الفن والأسطورة تُعبر عن خواطرها ومآربها من طريق تعبيراتٍ مُلتصقة بالجسمانية في صورة طقوس وإيماءاتٍ محسوسة في إطار رؤيةٍ سحريةٍ للواقع، حيث لا يُنظر إلى الأشياء على أنها أشياء، بل على أنها تعبيرات، ما يعني اختصار الأشياء والأحداث باعتبارها تعبيرات. (Cassirer, 1991, deuxième étude).

ثم يندرج الفكر في الإفصاح عن الأشياء إلى أن يصل إلى المستوى الثاني من التوليف الرمزي الذي يُسميه كاسيرر *représentation* أو العرض *Darstellung* الذي مُفاده تقييضنا باللغة علامة للمحتوى الذي نتمثله بها. بفضل هذا التمثيل، نخلع على ما نُعبر عنه الديمومة والاستقرار، وبهذا المعنى لا يكون التمثيل من حيث هو عرض *exposition* إلا الشيء الذي يُمثله ويعرضه، إنه الشيء ذاته، لكننا هنا على صعيد التمثيل، لا ننظر إلى التمثيلات طبقاً لبنيتها الداخلية، بل تبعاً لمصاديقها الخارجية، وهذا مُغاير للرمز بمعناه

الحقيقي الأعلى تجريداً؛ حيث يُحسبُ الرمزُ غايةً لنفسه، حتى لو ادعى وجودَ علاقةٍ مع ما يرمزُ إليه. إنَّ اللغةَ هي مَنْ تُعبرُ عن هذا المستوى الثاني، بينما تُعبرُ الأسطورة عن المستوى الأول.

في المنتهى يبلغُ الفكرُ أشدهُ وتَمَامَهُ لَمَّا يَقْتَدِرُ عَلَى الترميزِ، الذي مِنْ قُوَّتِهِ الصُّورِيَّةِ، يُفْصِحُ عَنِ الْعَالَمِ فِي مَعَانٍ خَالِصَةٍ التَّجْرِيدِ تَنْعُمُ بِالْكُونِيَّةِ وَالْمَوْضُوعِيَّةِ، وَهَذَا هُوَ مُسْتَوَى الْمَعْنَى *Bedeutung* *signification*، حيثُ الرُّمُوزُ مُعْتَبَرَةٌ فِي ذَاتِهَا بَغْضِ النَّظَرِ عَنْ حَرَكَةِ التَّخَارُجِ كَمَا هُوَ الشَّأْنُ فِي الْعُلُومِ الصُّورِيَّةِ، كَالرِّيَاضِيَّاتِ الَّتِي تَمْتَازُ رُمُوزُهَا بِاسْتِقْلَالِيَّةٍ عَنِ الْمَصَادِيقِ الْخَارِجِيَّةِ، لِذَلِكَ نَجِدُ لِلْعُلُومِ وَظَائِفَ مُحَضَّ مَعْنَوِيَّةٍ: فَرُمُوزُ الْعُلُومِ هُنَا تُعْبَرُ عَنِ الْعَالَمِ مِنْ طَرِيقِ سَيْرورةٍ تَخَارُجٍ دَاخِلِيٍّ رَمَزِيٍّ، وَلَيْسَ بِالنَّظَرِ إِلَى مَضْمُونٍ خَارِجِيٍّ، وَالْفِكْرُ فِي الشَّكْلِ الرَّمَزِيِّ الْعِلْمِيِّ يَقُومُ عَلَى التَّكَافُلِ وَالتَّعَايُشِ *symbiose* بَيْنَ الرَّمَزِ *symbole* وَالرَّمُوزِ *symbolisé*.

لَا يُمَكِّنُ إِذَنْ أَنْ تَعْمَلَ الْأَنْظُمَةُ الرَّمَزِيَّةُ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ التَّرَكِيبَاتِ الْمَتَسَامِيَةِ لِلْإِدْرَاكِ الْوَاعِي الَّتِي تُصَاحِبُ جَمِيعَ تَمَثُّلَاتِنَا؛ وَمَا هِيَ إِلَّا تَكْوِينَاتٌ مَقُولِيَّةٌ تَشْرُعُ فِي الظُّهُورِ فِي صُورٍ مُخْتَلِفَةٍ، عَلَى الرَّغْمِ مِنَ الْوَحْدَةِ الْمُتَعَالِيَةِ لَوْهَبِ الْمَعْنَى. وَمَا يَتَغَيَّرُ، وَفَقاً لِمَنَاطِقِ الْمَعْنَى *régions du sens*، هُوَ التَّلَوِينَاتُ الْجَهْوِيَّةُ *colorations modales* الَّتِي تَجْعَلُ الْمَدْرَكَاتِ مُتَلَوَّنَةً فِي كُلِّ جِهَةٍ بِلَوْنٍ مُغَايِرٍ، فَعَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ يَتَغَيَّرُ تَصَوُّرُ الْمَكَانِ تَبَعاً لِلْمِنْطَقَةِ الَّتِي يَنْظَرُ مِنْهَا إِلَيْهِ، لِذَلِكَ يَأْتِي مَعْنَى الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ وَالْعَدَدِ فِي الْأَسْطُورَةِ مُخَالَفاً لِمَعْنَاهُمْ فِي الْفَنِّ وَالْعِلْمِ. فِي صُلْبِ هَذِهِ الْأَشْكَالِ الرَّمَزِيَّةِ وَتَبَايُنِ تَعْبِيرِهَا عَنِ الْمَوْضُوعَاتِ، أَلَيْسَ

من الإمكان ألا ينفي بعضها بعضاً (كأن ينفي العلم الأسطورة) أو أن يجري استدعاؤها، كما هو الحال في الروح الموضوعي الهيجلي، للتعاشيش وفق مقررات الجدلية التي تجعل بين الأشكال هرمية تفاضل بين أعلاها وأدناها معقوليّة؟

لقد تفرقت إجابات شراح فلسفة كاسيرر، وذهبت مذهبتين متباينين، باختلاف الشواهد التي توجي بإجابات متضاربة، بين فريق رأى في تقريرات كاسيرر تفاضلاً بين الرموز من حيث التعبير عن الروح والكشف عن تعاليه، ما ساقهم إلى القول بأنه يعد العلم الشكل الرمزي "المتميز" والأسمى "في هرمية الترميز، وفريق رأى أن تقريراته تكرر التعاشيش حتى لو لم تكن جميعاً متكافئة من ناحية تجرّد كل شكل منها من الطبيعة (مخوخ، 2017، صص 387-389). يُعزّز ما ذهب إليه هذا الفريق ما ورد في المجلد الرابع من فلسفة الأشكال الرمزية من تأكيد صدور متنوع الأفهام من قدرة العقل الواحدة وشرعية كل أنماط المعرفة، يقول في هذا المورد ما يلي: "لكل مشكلة جديدة يواجهها، يبني [العقل البشري] شكلاً جديداً من الفهم. من هذا المنظور، يمكن لـ "فلسفة الأشكال الرمزية" أن تأخذ على عاتقها مرة أخرى طموحها إلى الوحدة والكونية الذي كان على الميتافيزيقيا، في شكلها العقدي، التخلي عنه. فهي لفلسفة الأشكال الرمزية لا تستطيع أن تجمع في نفسها مختلف أنماط المعرفة واتجاهاتها في العالم فحسب، بل تذهب إلى حد الاعتراف بشرعيتها في كل محاولة لفهم العالم، الذي هو في متناول العقل البشري، وفهمه في خصوصيته. وبهذا التمن وحده ستظهر مشكلة الموضوعية

بِكَامِلِ مَدَاهَا، وَيَفْهَمُهَا بِهَذَا النَّحْوِ، فَهُوَ [العقلُ البشريُّ] لَا يَسَعُ كُوسْمُوسَ الطَّبِيعَةِ *cosmos de la nature* فَحَسْبُ، وَإِنَّمَا أَيْضًا كُوسْمُوسَ الثَّقَافَةِ" (Cassirer, 1991, pp.96-97)

يُسَمِّرُ هَذَا الشَّاهِدُ عَنْ تَنَاوُلِ فَلَسَفِيَّ يَعُدُّ الثَّقَافَةَ عَمَلِيَّةً تَكُونُ فِيهَا جَمِيعُ الْأَشْكَالِ الرَّمْزِيَّةِ، مِنْ أَسْطُورَةٍ وَدِينٍ وَفَنٍّ وَعِلْمٍ، فِي "أَسْجَامٍ" وَظِلْفِيٍّ، عَلَى الرُّغْمِ مِنْ وُجُودِ التَّنَاقُضِ بَيْنَ زَوَايَا النَّظَرِ لِكُلِّ مِنْهَا" (Cassirer, 1972, II, p.307)، إِذْ بِأَفْضَالِ الْأَنْثُرُوبُولُوجِيَا الْفَلَسَفِيَّةِ الْمَوْسَّسَةِ عَلَى الْمَنْهَجِ الْمُتَعَالِي يُفْرَغُ فَيْلَسُوفُ الثَّقَافَةِ وَسُعُهُ فِي الْحُصُولِ عَلَى وَجْهَةٍ نَظَرٍ تَأْلِيفِيَّةٍ كَوْنِيَّةٍ وَلَوْ تَعَلَّقَ الْأَمْرُ بِـ "جَمِيعِ أَشْكَالِ الثَّقَافَةِ الْفَرْدِيَّةِ"، مَا يُتِيحُ لَهُ الْوُقُوفَ عَلَى وَحْدَةٍ "الْعَمَلِيَّةِ الْإِبْدَاعِيَّةِ" *procès créateur* (Cassirer, 1975, p.106) وَمِنْ ثَمَّ الْعُثُورُ عَلَى الْوُظَيْفَةِ الْعَامَّةِ لِلرُّوحِ الَّذِي يَرِيبُ الْأَسْطُورَةَ وَالْدِّينَ وَالْفَنَّ وَاللُّغَةَ بِرِبَاطٍ وَظِلْفِيٍّ غَلِيظٍ وَتَنْهَضُ عَوَالِمُ الْأَشْكَالِ الرَّمْزِيَّةِ هَذِهِ، فِي كُلِّ مَرَّةٍ عَلَى حِدَةٍ، بِتَكْوِينِ "الْكُلِّ" الْمَحْسُوسِ وَفَقًّا لِـ "مَنْظُورِ الْمَعْنَى"، الْمُتَعَلِّقِ بِالْوَاقِعِ (Cassirer, 2000, II, pp.209-210)، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الشَّكْلَ الرَّمْزِيَّ لَا يَسْتَمْدُ مَعْنَاهُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي يَشْغُلُهَا فَحَسْبُ، وَإِنَّمَا مِنْ ثَرَاءٍ وَخُصُوصِيَّةٍ عِلَاقَاتِهِ مَعَ الطَّاقَاتِ الرُّوحِيَّةِ الْأُخْرَى عَلَى حِدَةٍ، وَفِي النِّهَايَةِ، مَعَ مَجْمُوعِهَا كُلِّهِ (Cassirer, 1972, I, p. 23). بِمُقْتَضَى ذَلِكَ يُعَادُ اكْتِشَافُ الْوَحْدَةِ، الَّتِي تَسْعَى الْمِيتَافِيزِيْقِيَا إِلَيْهَا، فِي مَفْهُومِ الْوُجُودِ، وَلَكِنْ إِعَادَةُ الْاِكْتِشَافِ هَذِهِ، تَتَحَقَّقُ هُنَا بِمَعْنَى كَاسِيرِرِ فِي صُورَةٍ وَظِلْفِيَّةٍ؛ ذَلِكَ أَنَّهُ يُحَلُّ مَحَلَّ وَحْدَةِ الْمَوْضُوعِ وَحْدَةَ الْوُظَيْفَةِ " *L'unité de la fonction* a remplacé l'unité de l'objet" (Cassirer, 1991, p.96) وَمِنْ ثَمَّ

من السائع النظر إلى فلسفة الثقافة على أنها ميتافيزيقا «ثقافية» أو «وظيفية»، تقدم إطاراً معقداً وغنياً لكلّ فهم يحاول النفاذ إلى العالم الإنساني ومُنتجاته، دون السقوط في نقيصة الاختزال العلمي والأيدولوجي.

خاتمة:

لقد آلينا في هذا البحث إلى استنتاج توقف وجود الثقافة وتطورها على قدرة نوعية في الإنسان تمكنه من تحويل ما يقف أمامه من أشياء إلى رموز تعبيرية ومفاهيمية تهب المعاني للمعطيات المحسوسة وفق هذا الشكل أو ذاك، وبها يبنى عالمه الثقافي، ما يسمح بالانتقال من مستوى الطبيعة إلى مستوى الثقافة. وما دامت أنثروبولوجيا كاسيرر مُمعنة النظر في عمليات الترميز التي يبنى بها الإنسان عالمه الثقافي، فإنها تتناول علاقة الإنسان بموضوعات العالم على هدي الأنحاء الكيفية التي يبنّيها بها تبعاً لصورٍ تُعرب كل واحدةٍ منها عن رؤية خاصة للوجود الإنساني في علاقته بالوجود في مختلف ضروبه.

انتهينا، على إثر بسطنا لباني هذه الأنثروبولوجيا في تطرقها للثقافة بوصفها فعالية رمزية، إلى أن الإنسان، من حيثية كونه كائناً رامزاً، يفهم ذاته ويُعَمِّمها بتوسل الثقافة من حيث هي جماع الرموز الأسطورية والدينية والفنية والفلسفية التي تمكنه من الارتباط بأغواره وموضوعاته ارتباطاً رمزياً مشحوناً بالسُمو الروحي، ومفاد ذلك كون الفاعلية الترميزية ممارسةً جاريةً في تضاعيف البنى الثقافية ومضامينها التي تتوسط العلاقة بين الذات الناضرة والعالم المنظور.

ساقنا هذا إلى استنتاج أن الإنسان لا يرى العالم كما هو في ذاته،
ولمّا يراه من منظور الرموز لا غير.

وفي هذا كله تتعالى تجربة الإنسان على المعيش المباشر المحض
تعالى يحول الإنسان فيه موضوعات عالمه إلى علاقات ومضامين
رمزية؛ حتى إنه لا يريم يحيل في أدنى إدراكاته الحسية إلى كلية
معنوية. ذلك أن الثقافة الإنسانية ليست محض مرآة عاكسة للأشياء،
بل إنتاجاً ديناميكياً للرموز الحمالة للمعاني، لذلك لا ينبغي الحكم
على أشكال الثقافة، ومن ثم على الأساطير والأديان التي هي
إحداها، من وجهة نظر علموية ثعائرها بمعيار خارجي عنها، بل لا
مناص من التطرق إليها على ضوء بنيتها الداخلية ونواميس تولدها،
ومهامها الوظيفية.

وأخر النتائج التي أفضى اليها أن الإنسانية على تنوع
أشكالها الرمزية، من دين وفن وعلم وغير ذلك، ما يفسر تعدد
الثقافات الإنسانية، تشترك في حقيقة واحدة، باعتبارها قدرة الإنسان
الترميزية على توليد المنظورات التي تفرج عن التجارب الإنسانية.
التوصيات المستقبلية:

إذا وقفنا على ما للرموز من سلطان على نسج رؤيتنا للعالم، لم
يسعنا إلا أن نوصي، سواء على المستوى النظري أم على المستوى
العملي، بالتحرز واليقظ في إبداعها (نظرياً) واستعمالها (عملياً)؛ فإن
من الرموز ما يظل وفيّاً لسنن الوجود، يرقى بالإنسان فرداً وجماعة
وأمة، ومن الرموز ما يشوّه الإنسانية ويحيد بها عن الانسجام مع
الكون، فيردّها فرادى وجماعات وأممًا إلى تقهقر بعد ارتقاء.

إذا كانتْ حَقِيقَةُ الثَّقَافَاتِ عَلَى تَبَايُنِهَا وَتَفَرُّقِ مَرْجَعِيَّاتِهَا تُرَدُّ إِلَى حَقِيقَةِ
وَاحِدَةٍ، فَإِنَّا نُوصِي بِالسَّعْيِ عَلَى مُسْتَوَى التَّنْظِيرِ وَالْعَمَلِ سَوَاءً بِسَوَاءٍ،
إِلَى كَفِّ النِّزَاعَاتِ البَشَرِيَّةِ، بِمَا يَجْمَعُنَا مِنَ المَشْتَرِكِ الثَّقَافِيِّ، وَمَا
أَحَقَّنَا أَنْ نَدْعُو أَيْضًا إِلَى تَقْبُلِ تَعَدُّدِ الثَّقَافَاتِ، مَا دَامَ أَصْلُهَا وَاحِدًا.

التعليقات:

1- *Revue internationale pour la philosophie de la culture*.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1 - كاسيرر أرنست، (1961). مدخل إلى فلسفة الحضارة أو مقال في الإنسان، ترجمة إحسان عباس. بيروت: دار الأندلس.
- 2 - مخوخ فؤاد، (2001). من نقد العقل إلى هيرومينوطيقا الرموز: بحث في فلسفة الثقافة عند أرنست كاسيرر، قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- 3 - مخوخ فؤاد، (2015). "إشكالية علوم الثقافة لدى إرنست كاسيرر"، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الانسانية والاجتماعية، 12(2)، 46-71.
- 4-Barash, J. A. (2008). *The Symbolic Construction of Reality: The Legacy of Ernst Cassirer*. Chicago, IL: The University of Chicago Press.
- 5-Bayer, T. I. (2001). *Cassirer's Metaphysics of Symbolic Forms: A Philosophical Commentary*. New Haven, CT: Yale University Press.
- 6-Cassirer, E. (1944). *An Essay on Man: An Introduction to a Philosophy of Human Culture*. New Haven, CT: Yale University Press.
- 7-Cassirer, E. (1949). "Spirit" and "Life" in Contemporary Philosophy (R. W. Bretall & P. A. Shilpp, Trans.). In *The Philosophy of Ernst Cassirer* (pp. 855-880). (Original work published 1930).
- 8-Cassirer, E. (1953). *The Philosophy of Symbolic Forms, Volume 1: Language* (R. Manheim, Trans.). New Haven, CT: Yale University Press. (Original work published 1923).
- 9-Cassirer, E. (1953). *The Philosophy of Symbolic Forms, Volume 4: The Metaphysics of Symbolic Forms*. New Haven, CT: Yale University Press.
- 10-Cassirer, E. (1955). *The Philosophy of Symbolic Forms, Volume 2: Mythical Thought* (R. Manheim, Trans.). New Haven, CT: Yale University Press. (Original work published 1925).
- 11-Cassirer, E. (1957). *The Philosophy of Symbolic Forms, Volume 3: The Phenomenology of Knowledge* (R. Manheim, Trans.). New Haven, CT: Yale University Press. (Original work published 1929).

- 12-Cassirer, E. (1966). *La philosophie des Lumières* (1932). Paris: Fayard.
- 13-Cassirer, E. (1969). *Essais sur le langage*. Paris: Minuit. (Original work published 1932).
- 14-Cassirer, E. (1972). *Débat sur le kantisme et la philosophie, with Martin Heidegger* (P. Aubenque, J.-M. Pataud, & P. Quillet, Trans.). Beauchesnes, Bibliothèque des Archives de la philosophie, Nouvelle série N° 12. (Original work published 1929).
- 15-Cassirer, E. (1972). *La philosophie des formes symboliques, I: Le Langage* (O. de Hansen-Love, Trans.). Paris: Minuit. (Original work published 1923).
- 16-Cassirer, E. (1972). *La philosophie des formes symboliques, II: La Pensée mythique* (J. Lacoste, Trans.). Paris: Minuit. (Original work published 1925).
- 17-Cassirer, E. (1972). *La philosophie des formes symboliques, III: La Phénoménologie de la connaissance* (C. Fronty, Trans.). Paris: Minuit. (Original work published 1929).
- 18-Cassirer, E. (1973). *Langage et mythe, À propos des noms de Dieux* (O. Hansen-Love, Trans.). Paris: Les Editions de Minuit.
- 19-Cassirer, E. (1975). *Essai sur l'homme* (N. Massa, Trans.). Paris: Minuit. (Original work published 1944).
- 20-Cassirer, E. (1977). *Substance et fonction* (P. Caussat, Trans.). Paris: Minuit. (Original work published 1910).
- 21-Cassirer, E. (1978). *"The Problem of Symbol and its Place in the System of Philosophy"* (M. Krois, Trans.). *Man and World*, XI, 411–428. (Original work published 1927).
- 22-Cassirer, E. (1987). *Kant's Life and Thought*. New Haven, CT: Yale University Press.
- 23-Cassirer, E. (1988). *L'idée de l'histoire. Les inédits de Yale et autres écrits d'exil* (F. Capeillères & I. Thomas, Trans.). Paris: Cerf.
- 24-Cassirer, E. (1991). *Logique des sciences de la culture* (J. Carro & J. Gaubert, Trans.). Paris: Cerf.
- 25-Cassirer, E. (1993). *Le mythe de l'État (1946)*. Paris: Gallimard.
- 26-Cassirer, E. (1996). *Eloge de la métaphysique. Axel Hägerström. Une étude de la philosophie suédoise contemporaine* (J. Carro & J. Gaubert, Trans.). Paris: Cerf.
- 27-Cassirer, E. (1997). *Trois essais sur le symbolique* (J. Carro & J. Gaubert, Trans.). Paris: Cerf.
- 28-Cassirer, E. (2000). *Le système symbolique et sa place dans la philosophie* (E. Dufour, Trans.). In N. Cohen, P. Natorp, E. Cassirer, W. Rickert, H. Windelband, E. Lask, & K. Cohn (Eds.), *Néokantismes et théorie de la connaissance* (pp. 1–22). Paris: Vrin.

- 30-Cassirer, E. (2000). *The Logic of the Cultural Sciences* (S. G. Lofts, Trans.). New Haven, CT: Yale University Press.
- 31-Cassirer, E. (2001). *Liberté et forme* (J. Carro, M. Willmann-Carro, & J. Gaubert, Trans.). Paris: Cerf.
- 32-Cassirer, E. (2013). *The Warburg Years (1919–1933): Essays on Language, Art, Myth, and Technology* (S. G. Lofts & A. Calcagno, Trans.). New Haven, CT: Yale University Press.
- 33-Cassirer, E. (2021). *The Philosophy of Symbolic Forms, Volume 3: Phenomenology of Cognition* (S. G. Lofts, Trans.). New York: Routledge.
- 34-Cassirer, E., & Heidegger, M. (1972). *Débat sur le Kantisme et la philosophie* (P. Aubenque & J.-M. Fataud, Trans.). Paris: Beauchesne.
- 35-Cassirer, E., Lofts, S. G., & Gordon, P. E. (2020). *The Philosophy of Symbolic Forms, Volume 1: Language*. Routledge.
- 36-Cassirer, E., Lofts, S. G., & Gordon, P. E. (2020). *The Philosophy of Symbolic Forms, Volume 2: Mythical Thinking*. Routledge.
- 37-Cassirer, E., Lofts, S. G., & Gordon, P. E. (2020). *The Philosophy of Symbolic Forms, Volume 3: Phenomenology of Cognition*. Routledge.
- 38-Castillo, M. (1993). *Kant, Leçons de métaphysique*. Paris: Le Livre de Poche.
- 39-Krois, J. M., & Schwemmer, O. (Eds.). (1995). *Nachgelassene Manuskripte und Texte, Vol. 1: Zur Metaphysik der symbolischen Formen*. Hamburg: Felix Meiner Verlag.
- 40-Lassègue, J. (2016). Cassirer. *Du transcendantal au sémiotique*. Paris: Vrin.
- 41-Louden, R. B. (2008). *Anthropology from a Kantian point of view: Toward a cosmopolitan conception of human nature*. *Studies in the History and Philosophy of Science*, 39 (4), 453–468.
- 42-Natorp, P. (2007). *Psychologie générale selon la méthode critique [1912]*, (É. Dufour & J. Servois, Trans.). Paris: Vrin.
- 43-Skidelsky, E. (2008). *Ernst Cassirer: The Last Philosopher of Culture*. Princeton: Princeton University Press.
- 44-Verene, D. P. (Ed.). (1979). *Symbol, Myth, and Culture: Essays and Lectures of Ernst Cassirer 1935–1945*. New Haven, CT: Yale University Press.

